الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٥١ — ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 151.

Lundi - 25 - 5 - 1936

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــــدد

أكُلُّ هذا يصنع البرلمان ؟

قلت للشيخين صالح وعلى وقد لقيتهما فى هوادى الليل يتبختران بميدان إبراهيم فى الحرير الشاهى والجوخ المصقول : آلآن تتركان القرية والقطن يريد العزْق ، والدودة تطلب المراقبة ؟ فتسابقا إلى الجواب كأنما حضَّراه من قبل واتفقا عليه ، فكان كلمة من هذا وكلمة من ذاك . قالا :

جئنا نجتلى طلعة المليك ، ونهنئُ وزارة الشعب ، ونشهد برلمان الأمة . ثم قال الشيخ صالح وحده : وجئنا كذلك نبلغ نائبنا المحترم . . . رغائب الناخبين ومطالب الدائرة

فملت بهما إلى قهوة من قهوات الميـدان تعج بأمثالهما من الشيوخ والنواب والتوابع ؛ وبعـد شىء من نوافل الحديث كالسؤال عن العشيرة والزرع ، عطفت على جوابهما المشترك بالتعقيب قلت : أما اجتلاء طلعة المليك فجلاء الهم ونعيم الروح وسرور النفس المؤمنة ؛ وأما تهنئة الوزارة فشعيرة الحب المتبادل ، وإعلان الثقة المؤيدة ، وإهلال الرجاء المحقق . وأما تبليغ النائب مطالب الدائرة يا صديقى صالح فما لك تعجل به ، والبرلمان لـ

ينعقدْ ، والنائب مفروض عليه أن يصل نفسه بناخبيه صلة الرسول بالمرسل والوكيل بالموكل واللسان بالقلب ؟ فأجابني بلهجة حاول باتزان إشارته واطمئنان صوته واعتدال جلسته أن تكون مقنعة ، قال : إنا من جنود الوفد الأمين ، وكنا من دعاة النائب المحترم ، توسطنا بينه و بين الناس ، فوعدناهم الوعود ، ومنيناهم المنى ، و بشرناهم النَّصفة ؛ والفلاح درج منذ العهود الأولى على أن يفهم من لفظ (الحكومة) جباية المال وتسخير الرجال وتجنيد الشباب وتغريم المتخاصمين المبطل منهم والمحق . فلم يكد يفهم أن حكومة الوفد هي حكومة الفلاح : ترجع إليه وتعطف عليه وتعمل له ، حتى انثالت علينا شكاويه وأمانيه بالبريد واللسان واليد

قال هـذا وألقى على منضدة رخامية لا تأخذ منها هبَّة الريح ولا مسَّة الكف ، إضبارةً بطينة من العرائض والرسائل ، ثم قال لي : انظر ! فابتدرتْها يدى قبل الاستئذان إطاعة لحكم الصنعة ، ثم أخذت أصفّحها مع الوسيطين ورقة ورقة

هذه عريضة من أهل قرية طغت على جنباتها الأربع البرك المنتنة ، فأصبحت كالجزيرة الملعونة في غِسْلين جهنم !

صاحب البرك هو مالك الأطيان ومن أعضاء البرلمان ؛ ورجال الإدارة يرجونه أو يخشونه ، فلا يذكّرونه القانون إلا بالتي هي أحسن ؛ والتي هي أحسن لا تساوى عجلاً في دوار الباشا ! وأهل القرية و بعوض الملاريا في رأيه سواء ، فلماذا يقتل البعوض ويبقون هم في الأحياء ؟

وهـذه عريضة من أهل قرية يسكنون المسكن القذر ، ويشربون المشرب الكدر ، ففشت في دمائهم جراثيم الانكلستوما والبلهارسيا ، ففزعوا منها إلى مستشفى الحكومة بالبندر ، فكان ما كابدوه من عنت الممرضين والأطباء ، أضعاف ما كابدوه من عنت الأدواء ، ففر الموسر من العلاج بالمجان إلى العلاج بالأجر ، ولاذ المعسر من تعب الإنسان إلى راحة القبر ! !

وهـــذه عريضة من أهل قرية يملك أرضها مُثْرٍ يملك اثنى عشر ألف فدان ، ولكنه منهوم لا يشبع ، وطاع لا يقنع ، وقاس لا يلين ، فهو يشتط عليهم في أجرة الأرض حتى يأخذ القطن فلا يفي ، ويغتصب أكثر القمح والذرة والأرز ولا يكتفي ، فيضطر المستأجر المجهود إلى أن يدفع الجوع عن أسرته بالعمل أجيراً عند الناس . وهكذا يظل طول عمره دائب العمل ، دائم الفقر ، لا يخف عنه دين ، ولا يجف له عرق .

وهذه عريضة من أهل قرية ليس فيهم كاتب ، وحفاظ القرآن منهم ثلاثة عميان لا يحسبون إلا (النجم) ولا يعرفون إلا تاريخ اليوم بالعربية والقبطية ؛ فاذا اضطرتهم الحال إلى تحرير عرض أو كتابة خطاب سافروا إلى الكتاب العموميين في عاصمة المركز . فهم يطلبون إلى (البرلمان) أن ينشئ لهم كتابا يحفظهم القرآن و يعلمهم الخط !

ومن خلال هذه العرائض المنطقية الرزينة كان يقع في يدى أنماط شتى من رسائل الالتماس عليها طابع السذاجة والحاجة ؛ فهذا والد تلميذ فقير يطلب حق ابنه في المجانية ؛ وهذه أم حنون ترجو إخراج ولدها من الجندية ؛ وهذا تلميذ سابق يريد أن يكون موظفا في وزارة ؛ وهذا عسكرى قديم يحب أن يكون حاجبا في محكمة ؛ وهذا تاجر جوال لا تقع قريتـه على الطريق العام يحتم أن تمر بها السيارات العامة ؛ وهذا فلاح يقترح على (البرلمان) أن يأمر التجار أن يشتروا القطن غاليا ، ما دامت الحكومة لا تأمر الملاك أن يؤجروا الأرض رخيصة .

* * *

كَلَّ النظر من طول القراءة ، وألمَّ الشعور من تناقض الأثر ، والاضبارة الشعبيـة لا تزال وارمة ! فطويتها بعناية ورفق ، ثم قلت لحاملها الأمين الوفي : شكر الله مسعاك ، وأعانك النائب الكريم على إبراء ذمتك . فقال الشيخ على وقد خفق على وجهه الأبلج ظل رقيق من الشك : ولكن بالله قل لي : أ كل هذا يصنع البرلمان ؟ فقلت له : ولم لا ؟ إن علماء الدستور قالوا في برلمان إنجلترا : « إنه يقدر على كل شيء ، إلا على تحويل الرجل امرأة » وبرلماننا صديقه اليوم وحليفه غدا ، فلم لا يجوز على أحد الحليفين ما جاز على الآخر ؟ فضحك الصديقان وهما ينصرفان . ولا أدرى أ كان ضحكهما من سخف القياس ، أم من سخف الناس .

احمد حسن الزيات

٢ـ العجوزان (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال محدِّثي : ولما تلقت لهما أيها العجوزان : أريد أن أسافر إلى سنة ١٨٩٥ ؛ نظر إليَّ العجوز الظريف (ن) وقال : يا بنيَّ أحسبُ رؤيتك إياي قد دنت بك من الآخرة ... فتريد أن تلوذَ بأخبار شبابنا لتنظر الينا وفينا روحُ الدنيا

قال الأستاذ (م) : وكيف لا تريه الآخرة وأ كثرك الآن في « المجهول » ؟

قال : ويحك يا (م) لا تزال على وجهك مسحة من الشيطان هنا وهنا ؛ كأن الشيطان هو الذي يُصلح في داخلك ما اختلَّ من قوانين الطبيعة ، فلا تَستَبِينُ فيك السنُّ وقد نيَّفتَ على السبعين ، وما أحسب الشيطان في تنظيفك إلا كالذي يكنس بيته ....

قال (م) : فأنت أيها العجوز الصالح بيتٌ قد تركه الشيطان وعلَّق عليه كلمة (للايجار) ....

فضحك (ن) وقال : تا لله إن الهرم لهو إعادة درس الدنيا ، وفهمها مرة أخرى فهماً لا خطأ فيه ، إذ ينظر الشيخ بالعين الطاهرة ، ويسمع بالأذن الطاهرة ، ويلمس باليد الطاهرة ... وتالله إن الشيطان لا معنى له إلا أنه وقاحةُ الأعصاب

قال (م) : فأنت أيها العجوز الصالح انما أصبحت بلا شيطان لأن الهرم قد أدَّب أعصابك ...

قال العجوز الظريف : وعند من غيرنا نحن الشيوخ تطاع الأوامرُ والنواهي الأدبية حقَّ طاعتها ؟ عند من غير الشيوخ تقدَّس مثلُ هذه الحكم العالية : لا تعتد على أحد ... لا تفسد امرأة على زوجها ...

* * *

قال المحدث : وضحكنا جميعاً ، وكان العجوز (ن) من الآيات في الظرف والنكتة ، فقال : تظنني يا بني في السبعين ، فوالله ما أنا بجملتي في السبعين ، والله والله

قال (م) : لقد أهتر الشيخ (١) يا بني فان هذا من خَرفه فلا تصدقه

قال (ن) : والله ما خَرِفت وما قلت إلا حقاً ، فههنا ما عمره خمس سنوات فقط وهو أسناني ...

قلت : « وربنا وربت » وسنة ١٨٩٥ ؟

قال الأستاذ (م) : أنت يا بني من المجددين ، فما هواك في القديم وما شأنك به ؟

وما كاد العجوز (ن) يسمع هذا حتى طَرَفَ بعينيه (٢) وحدَّد بصره الي وقال : أثنك لأنت هو ؟ لعمري إن في عينيك لضجيجاً وكذباً وجدالاً واحتيالاً وزعماً ودعوى وكفرا والحاداً ؛ ولعمري . . .

فقطعت عليه وقلت : « لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون » ، لقد وقع التجديد في كل شيء إلا في الشيوخ أجساماً والشيوخ عقولاً ؛ فهؤلاء وهؤلاء عند النهاية ، وغير مستنكر من ضعفهم أن يدينوا بالماضي فان حياتهم لا تلمس الحاضر إلا بضعف

قال العجوز : رحم الله الشيخ (ع) . كان هذا يا بني رجلاً ينسخ للعلماء في زمننا القديم ، وكان يأخذ عشرة قروش أجراً على الكراسة الواحدة ، وهو رديء الخط ، فاذا ورَّق لأديب ولم يعجبه خطه فكلمه في ذلك تعلَّق الشيخ به وطالبه بعشرين قرشاً عن الكراسة ، منها عشرة للكتابة وعشرة غرامة لاهانة الكتابة . . .

نعم يا بني إن للماضي في قلوبنا مواقع ينزل فيها فيتمكن ،

---

(١) الجمهور من أهل اللغة على أن (العجوز) وصف خاص بالمرأة إذا شاخت وهرمت ، ولكن جاء في اللسان : « ويقال للرجل عجوز » ونقله صاحب التاج عن الصاغاني . ونحن على هذا الرأي ، ولو لم يأت فيه نص عن العرب لابتدعناه وزدناه في اللغة ؛ ووجهه عندنا أن الرجل والمرأة إذا بلغا الهرم فقدا خصائص الذكورة والأنوثة فلم يعودا رجلا وامرأة ، فاستويا في العجز فكان الرجل قميناً أن يشارك المرأة في وصفها ، فيقع اللفظ عليهما جميعاً .

وإنما امتنع العرب أن يقولوا للرجل (عجوز) وخصوا ذلك بالمرأة تعسفاً وظلماً وطغياناً كدأبهم مع النساء . فاذا شاخت المرأة فقد بطلت أنوثتها عندهم وعجزت عن حاجة الرجل وعجزت في كثير ونفتها الطبيعة وبرأت منها ، أما الرجل فبالخلاف لأنه رجل وإذا شاخ وبطل وعجز ولم يستطع أن يكابر في المعنى — كابر في اللفظ ... وأبى أن يقال إنه (عجوز) وزعم أن ذلك خاص بالمرأة . . .

ألا إن هذا تزوير في اللغة ، وإن كان للرجال عليهن درجة فذلك في أوصاف القدرة لا في أوصاف العجز

(١) أي أخطأ في الرأي من تأثير الكبر

(٢) أي حرك أجفانهما

ولـكن قاعدة (اثنان واثنان أربعة) لا تعد فى المـاضى ولا فى الحاضر ولا فى المستقبل ، والحقيقـة بنفسها لا باسمها ، وليست تحتاج النار إلى ثوب المرأة إلا فى رأى المغفل

قال الأستاذ (م) وكيف ذلك ؟

قال العجوز : زعموا أن مغفلاً كان يرى امرأته تضرم الحطب فتنفخ فيه حتى يشتعل ، فاحتاج يوماً فى بعض شأنه إلى نار ولم تـكن امرأته فى دارها ، فجاء بالحطب وأضرم فيه وجعل ينفخ ، وكان الحطب رطباً فدخَّن ولم يشتعل . ففكر المغفـل قليلاً ثم ذهب فلَبس ثوبَ امرأته وعاد إلى النار ، وكان الحطب قد جف فلم يكد ينفخ حتى اشتعل وتضرَّم . فأيقن المغفل أن النار تخاف امرأته . . . وأنها لا تتضرم إلا إذا رأت ثوبها

* * *

قال الأستاذ (م) : إن الـكلام فى القديم والجديد أصبح عندنا كفنون الحرب تُبـدع ما تبدع لتغيير ما لا يتغير فى ذات نفسه ، وعلى ما بلغت وسائلُ الموت فى القـديم والجديد فانها لم تستطع أن تميت أحداً مرتين

لقد قرأت يا بنى كثيراً فلم أر إلى الآن من آثار المجددين عندنا شيئاً ذا قيمة . ما كان من هُراء وتقليد زائف فهو من عندهم ، وما كان جيـداً فهو كالنفائس فى ملك اللص لها اعتباران إن كان أحدها عند مقتنيها . . . فالآخر عند القاضى (١)

كلا أيها اللص لن تسمىَ مالكاً بهذا الأسلوب ؛ إنما هى كلمة تسخر بها من الناس ومن الحق ومن نفسك

يقولون : العـلم والفن والغريزة والشهوة والعاطفة والمرأة وحرية الفكر واسـتقلال الرأى ونبذ التقاليد وكسر القيود إلى آخره وإلى آخرها . . . فهذا كله حسن مقبول سائغ فى الورق إن كان فى مقالة أو قصة ، وهو سائغ كذلك حين ينحصر فى حدوده التى تصلح له من ثياب المثلين أو من بعض النفوس التى يمثل بها القدر فصوله الساخرة أو فصوله المبـكية ، ولـكنهم حين يخرجون هذا كله للحياة على أنه من قوتها الموجبة ، تردُّه الحياة عليهم بالقوة السالبة ، إذ لا تزال تخلق خلقها وتعمل أعمالها بهم وبغيرهم ، وإذا كان فى الانسانية هذا القانون الذى يجعـل الفـكر المريض حين يهدم من صاحبه — يهـدم فى الـكون بصاحبه ؛ ففيها أيضاً القانون الآخر الذى يجعل الفكر الصحيح السامى حين يبنى من أهله — يبنى فى الـكون بأهله

* * *

قال العجوز (ن) : زعموا أن أحد سلكى الـكهرباء كان فيلسوفاً مجدِّداً فقال للآخر : ما أراك إلا رجـعياً ، إذ كنت لا تتبعنى أبداً ولا تتصل بى ولا تجرى فى طريقتى ؛ ولن تفلح أبدا إلا أن تأخذ مأخذى وتترك مذهبك الى مذهبى . فقال له صاحبه : أيها الفيلسوف العظيم ، لو أنى اتبعتـك لبطلنا معاً فما أذهب فيك ولا تذهب فىَّ ؛ وما عَـلِمتك تشتمنى فى رأيك إلا بما تمدحنى به فى رأيى

قال العجوز : وهذا هو جوابنا إذا كنا رجعيين عندهم من أجل الدين أو الفضيلة أو الحياء أو العفة الى آخرها والى آخره . . ونحن لا نرى هؤلاء المجددين عند التحقيق إلا ضرورات من مذاهب الحياة وشهواتها وحماقاتها تلبّست بعضَ العقول كما يتلبس أمثالها بعضَ الطباع فتزيغ بها . وللحياة فى لغتها العمليـة مترادفاتٌ كالمترادفات اللفظية تكون الكلمتان والـكلمات بمعنى واحد ، فالمخرِّب والمخرِّف والمجدِّد بمعنى

كل مجدد يريد أن يضع فى كل شىء قاعدةَ نفسه هو ، فلو أطعناهم لم تبق لشىء قاعدة

قال الأستاذ (م) إن هذه الحياة الواحدة على هذه الأرض يجب أن تكون على سنَّتها وما تصلح به من الضبط والاحكام ، والجلب لها والدفع عنها والمحافظة عليها بوسائلها الدقيقة الموزونة المقدَّرة ، والسهلة فى عملها الصعبة فى تدبيرها . فعلى نحوٍ مما كانت الحياة فى بطن الأم يجب أن نعيش فى بطن الـكون بحـدود مرسومة وقواعد مهيأة وحيّز معروف ؛ وإلا بقيت حركاتُ هذا الانسان فى معناها كحركات الجنـين ، يرْتكضُ ليخرج عن قانونه . فان استمر عمله ألقى به مَسْخاً مشوَّهاً من جسد كان يعمل فى تنظيمه ، أو قَذَفَ به ميتاً من جسم كان كل ما فيه يعمل لحياته وصيانته

هذا الجسم كلّه يَشرَع للجنين مادام فيه ، وهذا الاجتماع كله يشرع للفرد ما دام فيه ؛ فكيف يكون أمرٌ من أمر إذا كان الجنينُ مجدِّداً لا يعجبه مثلا وضعُ القلب ولا يرضيه عمل

---

(١) فى كتابنا (تحت راية القرآن) كلام كثير عن التجديد والمجددين وما نراه من ذلك حقاً وما نراه باطلاً

الأم ، ولا يريد أن يكون مقيداً لأنه حرٌ ؟

أنظر الى هذا الشرطى فى هذا الشارع يضرب مُقبلاً ليُدبر ومدبراً ليقبل ، وقد ألبسته الحكومة ثياباً يتميز بها ، وهى تتكلم لغة غير لغة الثياب وكأنها تقول : أيها الناس إن ههنا الانسان الذى هو قانون دائماً ، والذى هو قوة أبداً ، والذى هو سجنٌ حيناً ، والذى هو الموت إذا اقتضى الحال

أتحسب يا بنى هذا الشرطى قائماً فى هذا الشارع بجدران هذه المنازل ؟ كلا يا بنى . إنه واقفٌ أيضاً فى الارادة الانسانية وفى الحسِّ البشرى وفى العاطفة الحيـة . فكيف لا يمحوه المجددون مع أنه فى ذاته ارغامٌ بمعنى ، وإكراه بمعنى غيره ، وقيد فى حالة ، وبلاءٌ فى حالة أخرى ؟

لكنه ارغامٌ ليقع به التيسير ، وإكراه لتنطلق به الرغبة ، وقيدٌ لتتمجد به الحرية ؛ وكان هو نفسه بلاءً من ناحية ليكون هو نفسُه عِصمةً من الناحية التى تقابلها

يابنى ! كل دين صالح ، وكل فضيلة كريمة ، وكل خلق طيب ، كل شىء من ذلك إنما هو على طريق المصالح الانسانيـة كهذا الشرطى بعينه ؛ فاما تخريبُ العالم أيها المجددون وإما تخريب مذهبكم . . . .

***

قال العجوز (ن) : أنبحث عما نتسلَّط به أم نبحث عما يتسلط علينا . وهل نريد أن تـكون غرائزنا أقوى منا وأشد ، أو نـكون نحن أشـد منها وأقوى ؟ هذه هى المسئلة لا مسئلة الجديد والقديم

فان لم يكن هناك المثل الأعلى الذى يعظم بنـا ونعظم به ، فَسَدَ الحسُّ وفسدت الحياة . وكل الأديان الصحيحة والأخلاق الفاضلة إن هى إلا وسائل هذا المثل الأعلى للسمو بالحياة فى آمالها وغاياتها عن الحياة نفسها فى وقائعها ومعانيها

***

قال المحدِّث : ورأيتنى بين العجوزين كأنى بين نابين ؛ ولم أكن مجـدداً على مذهب ابليس الذى ردَّ على الله والملائكة وظن لحمقه أن قوة المنطق تغير ما لا يتغير . فسكتُّ حتى إذا فرغا من هذه الفلسفة قلت : والرحلة إلى سنة ١٨٩٥ ؟

(لها بقية — طنطا) مصطفى صادق الرافعى

تجـــــربة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

ماذا ترى يصنع رجل يعشق للمرة الأولى فى حياة صاخبـة مضطربة ، ولـكنها على كثرة ماجرب فيها خلت من الحب ونجت من زلزلته للنفس ؟ ؟

عن هذا كان يسأل « ميم » — وحسبنا من اسمه حرفٌ واحـد — وهو جالس إلى مكتبه ، والفتاة التى يحبها قبالته على الشرفة . والجديد من الأمر يتطالب جديداً من التصرف والتدبير ، ولو كانت له خبرة بالحب ، أو سبق له به عهد ، لقاس حاضره على ماضيه ، وأجراه فى مجاريه . وغريب أن يتقضى شبابه وهو فارغ القلب ، وأن يدركه الحب ويعمر فؤاده بعـد أن شارف الـكهولة ووقف على بابها ، وأخذ الأبيض يختلط بالأسود ، وبدأ الزمن يرسم خطوطه ! ! وإن كان هو لا يحس شيئاً من ذلك ولا يباليه ، ولا يعرف إلا أنه ما زال فى عنفوان الفتوة

وألقى القلم واضطجع وقال يناجى نفسه ، وهو يضحك ساخراً : « هل أصنع كما يصنعون فى هذه الروايات الـكثيرة التى قرأتها ؟ وعلى ذكر ذلك — ماذا ترى أبطال هـذه الروايات يصنعون فى حالات كهذه ؟ لقد نسيت والله : فكأنى ما قرأتها ولا وقعت عينى عليها . . . وهبنى كنت أذكر ذلك فهـل يصح فى دنيا الحقيقة ما يصف الخيال ؟ »

واستطرد من هذا إلى القول بأن الروايات ليست — ولا يمكن أن تـكون — خيالاً بحتاً ، وشيئاً يخلقه الانسان من لا شىء ، ولا يحور فيه إلى أصل من حقائق الحياة ، وأنـكر قدرة الانسان على هذا الخلق ، وذهب إلى أن كل ما يسعه هو أن يلفق القصة من جملة ما شهد وجرب وسمع ، وأن يكوّن الشخصيات من أشتات ما عرف ، فليست القصص خيالاً ، ولا ما تصفه محالاً ، وإذن يكون تقليـدها ميسوراً . . . أودع كونه ميسوراً أو غير ميسور ، وقل إنه لا يكون شططاً

« ولـكن القصص يعنى فيها واضـعها بترتيب الأحوال والمواقف على النحو الذى يؤثره هو ، والذى يراه أوفق لغايته ، ومن عسى يرتب لى دنياى كما يرتب مؤلف القصة دنيا أبطاله ؟ ؟

أم أستشير صديقاً مجرباً ؟ ؟ ؟ ولكن هذا مخجل ! ! ثم إن العبرة بنوع استجابة الفرد لوقع الحياة فى نفسه ؛ والاستجابة تختلف باختلاف الأفراد . والذى يفعله إنسان ما ، فى موقف ما ، ليس من الحتم — ولا من المعقول — أن يفعله كل إنسان فى الموقف عينه

فالاستشارات عبث ولا خير فيها ، ولا جدوى منها إلا الفضيحة . . . الفضيحة ؟ ؟ ! نعم . أليس فضيحة أن تفتح قلبك لمخلوق غيرك ، وأن تبيحه سرك ، وتكشف له عن ضعفك ، وتدع عينه ترى مقاتلك ؟ ؟ ولكن هل معنى هذا أن الحب ضعف ؟ ؟ نعم . لأن فيه إفناء شخصية فى أخرى — الى حد ما على الأقل — ولم أكن هكذا قبل أن أبتلى بهذا الحب . وانى الآن لأرى حياتى كلها رهناً بمخلوق آخر لا أعرفه ولا يعرفنى . . . فكيف لا يكون هذا ضعفاً ؟ ؟

وعلى ذكر ذلك من تكون هذه المحبوبة التى غيّرتنى وأورثتنى هذه الهواجس والوساوس ؟ ؟ . وجعلت من نفسها المجهولة قطباً تدور عليه خواطرى جميعاً فى اليقظة والمنام ؟ . . .

واستغرب من نفسه أنه لا يعرفها ، وأنه مع ذلك لا يعنى بسواها ، فى حى يعرف من إحصاء البوليس أن فيه مائتى قهوة ومائة وعشرين ألف نفس ، أى دائرتين انتخابيتين . « ولو مات أهل الحى لما حزن عليهم ، ولا أسى لهم ، ولا أحس نقصاً أو خسارة ، ولا أسف إلا على خلو الحى وخرابه وقعوده هو فيه وحده على تله ! ولكنه لو علم أن هذه الفتاة جرح أصبعها أو أصابها زكام ، أو وعك ، لبات مسهّد القلب كاسف البال ، بل لاسودت الدنيا فى وجهه — ومع ذلك لا يعرفها ! ! لا اسمها . . ولا دينها . . ولا شيئاً عن قومها . . . وكل ما يعرف هو أنه يراها من نافذة غرفته وهو جالس الى مكتبه يقرأ أو يكتب . . . وأنه ألِفَ أن يبصرها ، وصار على الأيام يطيل النظر إليها وهى واقفة على الشرفة العالية ، حتى اعتاد أن يراها على الأيام ، وحتى صارت نفسه تستوحش إذا دخلت أو غابت . وجعل يلاحظها بعد ذلك فادهشه منها أنها لا تكاد تغادر بيتها ، فما رآها خارجة إلا مرة واحدة فى شهور طويلة — مع أمها فقد كانت تلك أمها بلا شك — وهى مع ذلك من السافرات ! ! وزاد دهشته أنه كان يراها فى الأغلب جالسة فى الشرفة وفى يدها كتاب . . . كتاب لا مجلة !! . ترى أى كتاب أو كتب تقرأ ؟؟ . لا شك أنها روايات . . وهل للفتيات صبر على غير ذلك ؟ ؟ . وللسن حكمها . . . وسنها الصغيرة تغريها ولا شك بايثار القصص والروايات لأن حياتها جديدة فهى تروم أن تعرفها معرفتها ؛ وتظن أن الروايات أخصر الطرق وأوجزها الى هذه المعرفة . . . ثم إن الروايات تصف كل هو ما هو حبيب الى الشباب وقريب من هواه

وصار يأنس بمنظرها ، ويرتاح إذا بدت لناظره ، ويشعر بالفراغ حوله — وفى نفسه — إذا خلا مكانها ، أو لم تظهر على الشرفة أو من النافذة . وأدهى من ذلك أنه صار يحس من نفسه العجز عن العمل والتفكير إذا لم تأخذها عينه فى محلها المألوف من الشرفة

واستحيا أن يسأل عنها جارا ، أو خادما ، أو أحداً من الناس — وماذا عسى أن يقول لهؤلاء ؟ . . . وبأى شىء يسوغ السؤال ؟ ؟

وفرك عينيه بأصابعه ، وهو يدير هذا كله فى نفسه ، ثم أطبق جفونه وراح يحاول أن يحضرها لذهنه ، كما تبدو له من النافذة أو الشرفة المألوفة ، . . فلم يجد عناء فى ذلك ، فقد كانت الصورة مطبوعة على صدره . . . وذكر قول العقاد فى قصيدة مرقصة له :

ذهبيّ الشعر ساجى الـ ... طرف حلو اللفتات

فأما أنها ذهبية الشعر فنعم ! وأما أنها ساجية الطرف فلا . . فان فى نظرتها — حتى على هذا البعد — لقوة ، وإن كان لم ير أحلى من نظرتها ولا أسحر للب حين تبتسم ، ويشرق وجهها الواضح الصبيح ، وإنه ليراها الآن كما كانت يوم ضحكت وتثنت ، وكانت معها أختها — لابد أن تكون هذه أختها الكبرى فان فيها منها مشابه . والأرجح أنها متزوجة فانها لا تزور هذا البيت إلا غبّا — وتالله ما كان أحلاها يومئذ ! ! لقد كانت فى ثوب وردى اللون محبوك ، مفصل على قدها تفصيلاً يجلو محاسنها كلها ويعرض مفاتنها جميعا . . . وكان نحرها يضىء — وثدياها الناهدان يبدوان من تحت الثوب بارزىْ الحلمتين . . . إيه ما أعظم فتنة هذا الجسم الغض الجديد الذى لم تبتذله السن ، ولم يرهله الزواج . . . وكان شعرها الوحف الأثيث الناعم اللامع مرخى . . . وكان الضوء المراق عليه يخيل للناظر أن فيه نجوماً زهرا ، أبهى وأسنى من نجوم السماء . . . وكان وجهها الدقيق المعارف . . . (ياويلى من هذا الفم الذى لم يعرف الأصباغ ، وهو مع ذلك يبدو لى كأنما غذّته الورود) متهللا . وقد لانت نظرتها القوية ، وفقدت

حدتها المألوفة ، واعتاضت منها الرقة ، وبدا خداها كأنهما غلالتا ورد . . . آه . . ماذا يقول هذا الشاعر مهيار ؟ ؟

آه على الرقة فى خدودها لو أنها تسرى إلى فؤادها !!

صحيح . . . . . وليت من يدرى كيف فؤاد هذه الفتاة الرائعة الرقيقة الخدين اللينة النظرة حين يسرّها شيء . . . . . أرقيق هو يا ترى تكديها ؟ ؟ أم . . . كلا ! ! لا يمكن أن يكون إلا رقيقاً ! . ولكن لماذا ؟ ؟ . على كل حال لا يزال أوان السؤال بعيداً . . أوه بعيداً جداً . . وما حاجتى إلى الاطمئنان من هذه الناحية ، ولا صلة هناك ، ولا كلام ، ولا حتى إشارة ؟ ؟ .

وقام يتمشى فى الغرفة الواسعة المكظوظة بالرفوف والمقاعد وغير ذلك ، وحدثته نفسه — وهى تعابثه — أن يركب الحياة بما يركبها به الشباب ، فضحك وقال . . لم يكن باقياً إلا هذا . . أمسح لها شعرى بكفى . . . . أو أعبث على مرأى منها بوردة أرجوانية « كتفاح خدها الارجوانى » كما يقول البحترى ! ! . أو أبعث إليها مع النسيم بقبلة . . . . أو هو هو هو ! ! .

وقهقه وهو يتخيل نفسه فاعلاً ما يفعل الشبان والاحداث . ثم أشعل سيجارة وارتمى على مقعد وثير وسأل نفسه : « أترانى أحتقر الشبان وأسخر مما يصنعون ؟ ؟ . وماذا أرى الحكمة والاتزان والوقار والاحتشام أجدانى ؟ . أو يمكن أن يجدينى ؟ . . هه ؟ . ومع ذلك لم لا أفعل كما يفعل الشبان . . أترانى هرمت ! . كلا ! . فما جاوزت السابعة والثلاثين ، وإن كان الكثير من شعرى قد حال لونه ، وإنى لأقوى وأعظم جلدا على الحياة والكفاح من ابن عشرين . . . . ولكنها عادة الاحتشام — قبحها الله !

ولم يرقه أن يقطع نفسه حسرات هكذا ، فقال . . لماذا أرخى لنفسى الطول . . . وهى ؟ ؟ أكبر الظن أنها لا ترانى ، ولا تعبأ بى إذا رأتنى ، ولا يرد ذكرى على بالها ، وإن كنت أراها أول ما يجرى بخاطرى فى الصباح ، وآخر شيء يجريه خاطرى بالليل .. أفلا يحسن أن أكبح نفسى عن هوى عقيم ؟؟ ولكن لماذا أدع العاطفة تستنفد نفسها . . لا مانع فيما أرى ، لو أن من الممكن أن تستنفد نفسها . . . وهبها يمكن أن تفعل ، فانى أخشى أن تورثنى حسرات كثيرة . . . ولهفات ثقيلة . . . الأرجح مع ذلك أن تعمق العاطفة مجراها فى النفس وإن كان لا مدد لها من المحبوب . فان فيها — بمجردها — للذة تترك المرء كالجمل حين يجتر ما فى جوفه ويعيد مضغه مرة وأخرى . . وهل قتل المجنون وأمثاله من صرعى الهوى إلا هذه اللذة التى كانوا يجدونها فى حبهم والتى كانت تغريهم بأن يجعلوا لها غذاء ومدداً من نفوسهم ؟ . . .

وابتسم وهو يقول . . لست أحب أن أكون أحد هؤلاء المجانين الذين أتلفهم الحب وقتلهم العشق . . . فقد كانوا حقيقة مجانين ... ولكن ليتنى أعرف حيلة !! والبلاء أن حياة المجتمع ما زالت كما كانت ، وإن كان النساء قد سفرن ! ومن النادر جداً على الرغم من هذا السفور أن يتيسر التعارف فى مجتمعات مختلطة . إذن لهان الأمر وأمكن السعى

وقال وهو يضحك « لم يبق إلا السحر » ثم عبس ونهض وقال لنفسه إن التعبير بالسحر فيه تجوز كثير ، ولكن فى الوسع تغليب إرادة على إرادة ، وأداء رسالة من نفس إلى نفس أخرى .. أعنى أن الايحاء حقيقة ثابتة لا شك فيها — نعم لا يشك فيها إلا جاهل — وفى مقدورى ولا ريب أن أوحى إلى هذه الفتاة العاطفة التى تخامر نفسى ، وأن أبلغها رسالة قلبى ، وأن أوقد فى صدرها ناراً كالتى تتسعر فى قلبى . . . أفعل كل ذلك بعينى . . . ألست قد أنمت مرة خادماً كان عندى وأمرته ألا يستيقظ إلا بعد صلاة الجمعة ؟؟. ألست قد جربت فعل نظرتى فى نساء كثيرات ؟. ألم تصح إحداهن وقد أطلت التحديق فى عينيها « حوّل عينك عنى ، فانى لا أطيق نظرتها وأحس أن رأسى يدور » ألم تصرخ إحدى قريباتى دون أن تحول عينها عنى ، لأنى كنت أحدق فى عينيها على غير قصد ؟ ؟ . فهذه قوة مجرّبة ... قوة نفسية لا شك فيها . . وما أظن إلا أنى قادر على أن أوحى اليها الحبّ . . وكل شيء بعد ذلك يهون . . نعم إن بيننا لبعداً . . . ولكن ما قيمة هذا ؟ ؟ . إنها موجة نفسية أرسلها اليها ، لا شرارة قصيرة ... ولماذا يمكن إرسال موجة من آخر الدنيا ، ولا يسهل إرسالها مسافة ثلاثين أو أربعين متراً ؟ ؟

واقتنع بأن ذلك ميسور ، فانشرح صدره ، وأشرق وجهه ، واعتزم أن يجرى هذه التجربة

وسأبلغ القارىء ما يكون — إذا كان شيء

ابراهيم عبد القادر المازنى

من روائع عصر الإحياء

٢ـ قصص الأيام العشرة

بقلم جوفانى بوكاشيو

للأستاذ محمد عبد الله عنان

بقية ما نشر فى العدد الماضى

يستطيع أولئك الذين قرأوا قصص بوكاشيو وألف ليلة وليلة، أن يجدوا بعض نواحى الشبه بين الأثرين، سواء فى المادة أو الروح؛ ذلك أن قصص الأيام العشرة تفيض كقصص ألف ليلة وليلة بروح مادية قوامها السرور والمرح، والتوفر على استمراء متاع هذه الحياة بأى الوسائل؛ وتفيض أيضا كألف ليلة وليلة بالمواقف الغرامية المدهشة المثيرة، أو المبتذلة أحياناً؛ ثم إن كلا الأثرين يرمى إلى غاية واحدة تقريباً، وهى مجالدة النوائب والنسيان والسلوى؛ ففى ألف ليلة وليلة نجد ملكا نكب بخيانة زوجه، وانقلب إلى بغض النساء، يتسرى فى كل ليلة بكرا ثم يقتلها فى صباح اليوم الثانى، إلى أن يبعث اليه وزيره بابنته «شهر زاد»، فتحتال لتسلية الملك وتحويله عن فكرة الثأر من النساء، وانقاذ نفسها وبنات جنسها، بأن تقص عليه فى كل ليلة طرفاً من القصص الشائق حتى ألف ليلة وليلة؛ وفى الأيام العشرة نجد عشر سيدات وسادة يجتمعون أثناء الوباء المروع للترويح عن أنفسهم وتناسى ويلات الفناء والموت، بتبادل القصص الممتع

ولا نعنى بذلك أن جوفانى بوكاشيو قد تأثر فى كتابة قصصه بألف ليلة وليلة؛ ذلك أن هذه القصص الشهيرة لم تكن قد عرفت فى الغرب فى عصره؛ ولكنا نريد أن نقول فقط إنه يوجد بين الأثرين تماثل فى الروح والطابع والغاية يرجع إلى تماثل فى روح العصور الوسطى وفى روح مجتمعاتها

على أنه إذا كانت قصص ألف ليلة تمتاز أحياناً بخيالها المبدع، وفنها الممتع، وصورها الوصفية والاجتماعية الشائقة، فان قصص الأيام العشرة تفوقها من الناحية الفنية فى مواطن كثيرة، وتمتاز بالأخص بعبرها ومغازيها الدقيقة، وصورها الفكهة اللاذعة، ومع أنها تمتاز أيضاً بكثير من التنوع والتباين فى التصوير والوصف، فانها تمتاز فى نفس الوقت بطابع من التناسق الممتع فى الروح والأسلوب والتعبير

وقد رجع بوكاشيو فى كتابة قصصه إلى مادة غزيرة من القصص القديم وقصص العصور الوسطى، وإلى بعض الحوادث الواقعية التى شهدها، وإلى بعض حوادث حياته ذاتها؛ ويرى بعض النقدة أن الفتيان الثلاثة الذين اتخذهم بوكاشيو أبطالاً لثلاثة من الأيام العشرة، انما يمثلون ثلاث مراحل مختلفة من حياة بوكاشيو نفسه، وأن فى قصصهم كثيراً مما اشتق من حياة بوكاشيو ذاتها

وبدأ بوكاشيو كتابة قصصه كما قدمنا، أيام عصف الوباء بمدينة فلورنس فى ربيع سنة ١٣٤٨، وأنجز الثلاثة أيام الأولى منها فى مايو سنة ١٣٤٩، وهو يومئذ بنابل، كما يستدل من خطاب الاهداء الذى يوجهه عن هذا القسم إلى صديقه الساندرو دى باردى التاجر الفلورنسى، وكان يقيم يومئذ فى جايتا؛ وانتهى من كتابة مؤلفه فى سنة ١٣٥٣، أعنى لخمسة أعوام من البدء فيه؛ وظهرت الطبعة الأولى من هذه المجموعة الخالدة فى سنة ١٤٩٢

* * *

وقصص الأيام العشرة تجرى حوادثها فى جميع المدن الأيطالية وفى بلاد بعيدة أخرى مثل البرتغال أو انكلترا والاسكندرية وآسيا الصغرى؛ وقد اختصت فلورنس موطن المؤلف، وكذلك نابل حيث عاش بوكاشيو مدى حين، بكثير منها؛ وفى كثير منها نجد صورا ممتعة لمحاسن الطبيعة فى تلك الأرجاء، ووصفاً شائقاً فكهاً لمجتمعات هذه العصور وخلالها ومثالبها

كذلك تقدم الينا هذه القصص أبطالاً من كل صنف وضرب؛ فهنالك مجتمع العصور الوسطى بكل طوائفه وشخصياته، من سادة وفرسان وأحبار وقسس، وشعراء وفنانين، وصناع وعمال ولصوص، ونساء من كل ضرب؛ وهنالك شخصيات الطبقة العليا من ملوك وأمراء وسادة وملكات وأميرات وسيدات

أنيقات من كل الطبقات ، وهنالك طائفة كبيرة من ملوك وأمراء معينين معاصرين وغير معاصرين

ونجد مثل هذا التباين في موضوعات القصص ؛ ونلاحظ أولا أن القصص كلها بعيدة عن الاسهاب الممل ، وقد صيغت في أحجام متقاربة ، من خمس صفحات الى عشرين ؛ بيد أن هذا الايجاز في الحجم لم يحل دون حسن السبك ، ففي كل قصة فكرة طريفة ، وفي كل نادرة فكهة ، وحادثة مطربة . وهنالك تنوع ظريف في الحوادث والفكر ؛ بيد أنه يلاحظ أن القصص الغرامية تشغل أكبر حيز وتفوز بأكبر نصيب ، وربما كانت تسعة أعشار المجموعة كلها . وهنا تبدو براعة بوكاشيو وفنه بصورة بارزة ؛ فهذه المجموعة الغرامية الحافلة بعيدة عن التماثل الممل ، وفي كل منها نجد مأساة أو مهزلة غرامية طريفة ؛ وربما صيغ بعضها في أثواب مغرقة ، وتضمنت فكرا أو مواقف مستحيلة ، ولكنها على العموم تنفث نفثى السحر والمتاع

وهذا الأفق الغرامي الساحر هو الذي يسود قصص الأيام العشرة ؛ وهنا يبدو بوكاشيو في ذروة فنه وسحره ؛ فالحب هو قوام المجتمع ، وهو متاع الحياة ، والحب يمد المرأة والرجل معا بكثير من البراعة والعزم والخيانة والشجاعة والكرم ، والاقدام والغدر ؛ وفي أحيان كثيرة يمزج بوكاشيو المأساة بالهزل والفكاهة ؛ فهنا زوجة خؤون تدبر أن يضرب زوجها في نفس حديقته من يد حبيبها ، وتحمله على منازلته كعنوان على الاخلاص والحب ؛ وهنا طالب عاشق يسير طول الليل فوق الجليد جيئة وذهابا ، بينا تحدجه الحسناء وحبيبها باسمين من وراء النافذة ؛ وهذا قس ساذج تستخدمه زوجة عاشقة دون أن يدري في توثيق علائقها بحبيبها المنشود وتدبير وسائل التمتع بوصله ؛ وهذه زوجة خبيثة تدبر لحبيبها الوصل في منزلها وفي فراشها ، بينا زوجها يضرع الى ربه مستغفرا عن ذنوبه في مكان آخر من الدار ؛ وهذا قس خبيث يفترس فتاة ساذجة تحت ستار الوعظ والهداية ؛ وهذه راهبة مضطرمة تحتال لاقتناص جنان الدير حتى توقعه في شرك وصالها ، وغير ذلك مما يضيق المقام عن ذكره

ومما يلاحظ بنوع خاص أن بوكاشيو يحمل على الأحبار والقسس بشدة ، وينوه في كثير من المواطن بأخلاقهم الفاسدة وشهواتهم الوضيعة ، يسترونها تحت ثيابهم ومظاهر ورعهم الغادرة ؛ واليك كيف يعرض بوكاشيو نظريته في خبث رجال الدين على لسان بانفيلو أحد الفتيان الثلاثة إذ يقول :

« سيداتي الحسان ، لقد خطر لي أن أقص عليكم حديثاً ضد أولئك الذين يسيئون إلينا دائماً ، دون أن نستطيع نحن الانتقام منهم ؛ وأعني بذلك رجال الدين الذين أعلنوا حرباً صليبية على زوجاتنا ، والذين إذا ظفروا بواحدة منهن ، تصوروا أنهم قدغنموا غفران الذنب والعقوبة ؛ وفي ذلك يعجز المدنيون عن مقابلتهم بالمثل ، وإن كانوا يصبون جام انتقامهم على أمهات القسس وأخواتهم ، وخليلاتهم ، وبناتهم ، ويطاردونهن بمثل الحماسة التي يطارد بها القسس أزواجهم »

فيجيب زميله فيلوستراتو : « إن الحياة الفاسقة الدنسة التي يحياها رجال الدين ، وهي في كثير من نواحيها عنوان دائم للخبث ، تقدم بكل سهولة فرصة لذوي العقول ليحملوا عليها ويجرحونها »

ويقدم الينا بوكاشيو مجموعة متباينة من القسس الذين فاضت نفوسهم بأروع صنوف الاجتراء والاثم ، ويصور لنا خبائثهم ودسائسهم وتحيلهم على استباحة الأعراض بكل الوسائل ، واستتارهم في ذلك باسم الدين ؛ كذلك يقدم الينا طائفة من الراهبات اللائي يضطرمن وراء جدران الدير توقاً وجوى ، ويلتمسن تحقيق شهواتهن بأخس الوسائل ؛ وفي هذه القصص الكنسية يبدو بوكاشيو في ذروة فنه وسخريته اللاذعة ، ومع أنه يشتد في حملته على الكنيسة وأحبارها ، فانه يحيط هذه الصورة الخبيثة بكثير من الدعابة والمرح

وقد أثارت هذه القصص المثيرة سخط الكنيسة الكاثوليكية على الكتاب ومؤلفه ، فوضعته فيما بعد في قائمة الكتب المحظورة ؛ ولكنها لما رأت بعد ذلك أن هذا الحظر لم يحل دون ذيوع الكتاب ، سمحت بظهوره في القرن السادس عشر في ثوب مهذب رفع منه القسس والراهبات واستبدلوا في صلب القصص الأصلية بسيدات وسادة

* * *

وقد كتب بوكاشيو قصصه بكثير من الحرية والبساطة ؛

وإذ كان معظمها يتحدث عن الحب والوصـل ، فان مؤلفها لم يحاول تحفظاً فى وصف المناظر والصور ، ولم يحاول تـكلفاً فى اللفظ أو التعبير ؛ وعلى ذلك فقد يبدو لنا أن قصص الأيام العشرة تخرج فى كثير من المواطن عن حدود الحياء والحشمة ؛ والواقع أن بوكاشيو يحدثنا عن الحب وعن الوصل ، وعن العلائق والشهوات الجنسية فى كثير من البساطة والصراحة ، ويقـدم إلينا هذه الصور الغرامية المضطرمة عارية لا يسترها لفظ أو تحشم ؛ ولـكن هل يجوز لنا مع ذلك أن نعتبر قصص بوكاشيو أثراً خليعاً ينبو عن معيار الحياء والحشمة والخلق الرفيع ؟ لقد وجهت هذه التهمة إلى قصص بوكاشيو منذ ظهورها ، ومازالت توجه إليها فى عصرنا ؛ واضطر بوكاشيو نفسه أن يجيب عنها فى خاتمة مجموعته ، وأن يبرىء نفسه من قصد العبث والاسفاف

يقول النقدة ، لقد تحدث بوكاشـيو كثيراً عن الحب ، وأسرف فى ملق النساء واسترضائهن ؛ ويجيب بوكاشيو ، ولماذا لا ؟ لقد ملق النساء أذهان عظام مثـل جيدو كافالـكانتى ودانتى الجييرى ، وألفوا فى استرضائهن متعة وشرفاً

ويقولون إن بوكاشـيو استباح لنفسه وصف المناظر الجنسية المثيرة ، واسـتعمل ألفاظاً تنبو عن الحياء والحشمة ؛ ويقول بوكاشيو إنه ينكر هذه التهمة ، « لأنه لا يوجد ثمة شىء قبيح يحظر على إنسان ما ، إذا استطاع أن يخرجه فى صيغ مقبولة ، وهذا ما يلوح أنه قد فعل بصورة مرضية »

ويقولون إن هذه القصص تثير فساداً وتحدث ضرراً ؛ ويقول بوكاشيو ، إن كل شىء فى الوجود يمكن أن يحدث الخير والشر ؛ فمن ذا الذى لا يعرف أن النبيذ وهو من أفضل مقومات الصحة ، مضر بالمحمومين ؟ وهل لنا أن نقول إنه ضار لأنه يؤذى المحمومين ؟ ومن ذا الذى لا يعرف أن النار مفيـدة بل ضرورية للانسان ؟ وهل لنا أن نقول إنها شر لأنها تحرق الدور والقرى والمدن ؟ كذلك تـكفل الأسلحة سعادة أولئك الذين يريدون العيش فى سلام ؛ ولـكن الأسلحة كثيرا ما تودى بحياة الناس ، لا لخبث فى ذاتها ، ولـكن لخبث أولئك الذين يستعملونها . ثم يقول بوكاشيو : فاذا كان ثمة فى الأيام العشرة قصص مثيرة أو خارجة ، فانه لا ضـير من وجودها ، ولم يكن فى وسعى أن أكتب غير ماسمعت ؛ ولا عصمة لانسان ؛ وفى الحقل النضر تنمو الأعشاب الضارة ؛ ولما كنت أقصد أن أحدث فتيات الشعب ، فانه لم يكن ثمة داع للتكلف والبحث عن الصيغ والعبارات المنمقة

هكذا يعتذر بوكاشيو عما عسى أن يبدو فى قصصه من خروج على حدود الحياء والحشمة ؛ بيد أنه مهما كانت الملاحظات التى تبدى فى هذا الشأن ، فانه لا ريب أن قصص بوكاشيو ، تعتبر من أقيم الآثار العالمية وأبدعها وأمتعها

وقد كان لمجموعة الأيام العشرة أعظم الأثر فى تطور النثر الايطالى ، وتطور فن القصص الأوربى بوجه عام ؛ وما زالت آثار بوكاشيو تعتـبر الى جانب آثار دانتى وبترارك ، قوام الأحياء الأوربى ، والصرح الأول فى بعثه وازدهاره

(تم البحث — النقل ممنوع) **محمد عبد الله عنان**

عَالَمُ الايحاء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إذا مُجِّد المنطق أمام الانسان فى الحياة نشأ على احترام المنطق إلى حد كبير ، حتى ليعد العقل كأنه طاحونة منطق ، وحتى يظن أن وسائل التأثير مقصورة على مقتضيات المنطق وأن لا اقناع إلا الاقناع المنطقى ، ويخفى عنه أثر الايحاء الذى يتخذ قوى النفس وميولها ونزعاتها وعواطفها وإحساسها وسائل يستخدمها بطرق تعجز أحياناً تتبع المنطق وتقصيه . وإذا اعتقد الانسان أن الحياة مؤسسة على أسس من المنطق فحسب ، وفاجأته بعكس هذا الاعتقاد إذا اختبرها ، صعب وقع تلك الخبرة فى نفسه . فان تجاريب المرء فى الحياة تعلمه أن الحياة ليست مؤسسة على الاقناع المنطقى فحسب ، وإن المنطق نفسه يستخدم لكل غرض حتى غرض الايحاء ، وإن المنطق خليق أن يشبه بالخادم الذى يعمل فى بعض البيوت فيغسل أماكن دورات المياه تارة ، وتارة يطهى ويقدم الطعام للأسرة والزوار . والحقيقة هى أن للايحاء أثراً كبيراً فى الحياة حتى إنه ليسيطر على المنطق فى بعض الأحايين ويستخدمه لأغراضه ، وفى بعض الأحايين يغرى المرء بعكس ما يغرى به الاقناع المنطقى

وقد يعتمد المرء على مقتضيات المنطق لنيل العدل بين الناس فى الحياة أو ما يراه عدلاً ؛ فاذا لم ينله انهارت دنياه ودهش إذا لم يكن عالما أن وراء حياة المنطق حياة أخرى تدين للايحاء ، وان عليه أن يحدد موقفه فى عالم الايحاء هذا ، وأن يتخذ عدته له وأن يبحث مخبآته وأسراره ، فان قيمة الناس والقضايا فى ذلك العالم ليست إلا بقدر ما تستطيع أن تستخدمه من وسائل الايحاء ومؤثراته ، ولا يخلو أحد فى الحياة من الخضوع لعوامل الايحاء والتأثر بها سواء فى ذلك التاجر والموظف

يحكى أن أشعب الثقفى قد أولع الغلمان بما كسته يوماً فقال لهم ليصرفهم عنه : إن فى شارع كيت وكيت أفراح عرس تنثر فيها الدنانير على الجمهور ؛ فصدق الغلمان قوله وتركوه وجزوا إلى المكان الذى وصفه فى قوله ، فلما رأى أشعب تصديق الغلمان أغراه ذلك وجرى خلفهم إلى المكان الذى وصفه فى قصته التى لفقها كى يصرف الغلمان عنه . والناس فى الحياة على شاكلة أشعب فيما يشيعون من الخير والشر عن أنفسهم أو عن غيرهم ، يقولون ما ليس بحق ثم يصدقونه إذا رأوا تصديق الناس له ، وهذا بسبب تأثير الايحاء فى أنفسهم . ولا يستطيع المرء أن يفهم الناس إلا إذا فهم هذا الايحاء ، وإلا إذا فهم أن النفس قد تجمع بين النقيضين فى وقت واحد ، فتجمع مثلاً بين أثر الايحاء وبين الدليل المنطقى الذى ينقضه

خذ مثلاً آخر : يقول لك على إن أحمد قد هجاك ، وأنت تعرف أن علياً كاذب فيما نقل عن أحمد ، ولكن من المستطاع أن تجمع فى نفسك بين تكذيب على وبين الامتعاض من أحمد الذى تعرف براءته ، والامتعاض هذا من أثر الايحاء

والانسان يستطيع أن ينقل الكلام المحكى من عالم المنقول إلى عالم المدرك بالحسّ بسبب أثر الايحاء أيضاً ، حتى إنه لو قيل لجماعة إن انساناً ينظر اليهم شزراً لم تعدم بينهم من يرى ذلك أو يظن أنه يرى ذلك وإن لم يحدث ؛ وبعض الناس أكثر تأثراً بالايحاء من غيرهم . وقد حكى أن بعض فقراء الهنود يرمون بحبل إلى السماء فيظل ممدداً حتى يستطيع غلام أن يصعد الى طرفه الأعلى ؛ وفسر بعض الكتاب هذه القصة بأنها من أثر الايحاء فى نفوس بعض النظارة ، وبسبب أن المرء ينقل الكلام المنقول المحكى إلى عالم حسه فتنشأ دعوى المشاهدة . وهذه الصفة فى الانسان كثيراً ما تخدعه ويخدع بها غيره من الناس فى أمور كثيرة من أمور الحياة . وقد ينخدع بها ويصدقها وهو يعرف أنها وهم ؛ وقد يجمع بين تصديقها وتكذيبها فى نفسه فى وقت واحد

ويعتقد كثيرون أن الايحاء يؤثر فى الحيوان أثره فى الانسان . ومن المشاهد أن احساسات الانسان من ذعر أو حب أو فرح أو خوف قد تنتقل الى الكلاب مثلاً عن طريق الايحاء . وقد بالغ بعض الناس فادعى أن أثر الايحاء قد ينتقل الى الجماد أيضاً . وعلل إسقاط كهنة زنوج أواسط افريقية الأمطار بهذا الأثر . والعلم لله فى هذا الأمر

وترى الجهال فى الحياة يستخدمون وسائل الايحاء لمنفعة

النفس أو منفعة الصديق ومضرة العدو بطرق منظمة تحسبها نتيجة دراسة الايحاء والبحث فى علم النفس ، وما هى بنتيجة دراسة وعلم ، ولكنها السليقة التى تبصر الانسان بوسائل الايحاء . ولو علم الصائلون بإيحائهم المقتدرون به الجالبون لأنفسهم ولأودائهم به الخير أن بين العامة من لا يقل قدرة عن الخاصة فى استخدام الايحاء ما افتخروا بمهارتهم فى استخدام وسائل الايحاء ولا عدوها من دلائل العقل والحكمة ، ولا حسبوا أنهم فازوا فى الحياة بهما . ولو علم العقلاء الحكماء أن وسائل الايحاء أقرب الى النجاح من وسائل العقل ، وأن الايحاء يستمد من السليقة ما غالوا بعقلهم وحكمتهم كل المغالاة ، ولا حزنوا إذا أبصروا انخذال وسائل العقل وانهزامها أمام وسائل الايحاء

والتأثر بالايحاء من صفات القطعان ، سواء القطعان البهيمية والقطعان البشرية ؛ فاذا أحدثت بهيمة فى قطيع صوتاً أو اتخذت طريقاً تابعتها بهائم القطيع . وهذا هو ما يحدث أيضاً فى القطيع الانسانى بسبب أثر الايحاء والمحاكاة التى هى من أثر الايحاء . والقطيع البشرى أكثر تأثراً به بسبب إحساسه وخياله الناميين . والايحاء قد يكون فى النوم أو فى اليقظة ، وكثيراً ما كان يعتمد السحرة على الايحاء وأثره فى النفس ، وتأثر الجسم بما تعتقده النفس

وقد تتذبذب وتتحول نفوس الناس ساعة بعد ساعة ، أو يوما بعد يوم تذبذباً لا حد له فى الأمور اليومية والاحساسات المتغيرة العارضة بسبب اختلاف أنواع الايحاء ومراميه ، حتى ليشبه تذبذبهم تذبذب السراب أو ذرات الهباء فى أشعة الشمس ، ولكنهم لا تأخذهم الدهشة من أنفسهم لأنهم لا يفكرون فى أنفسهم ولسرعة التذبذب كما لا تحس دورة الأرض ، ولأنهم ثابتون على بعض عقائد ومبادئ عامة لا مناص لهم من الثبات عليها ، فتلهيهم عن تذبذبهم المستمر بسبب اختلاف نزعات الايحاء ، والتذبذب النفسانى ينشأ عنه تذبذب جثمانى لاختلاف حركات الوجه والجسم حسب الأهواء والميول والنزعات النفسية . والبيع يشبه الاحتيال من ناحية الاعتماد على الايحاء إلى حد كبير ، وإن اختلفا فيما عدا ذلك ، ويسمى الناس وسائل البيع والاحتيال التى تعتمد على الايحاء الطريقة الأمريكية فى البيع ، والطريقة الأمريكية فى الاحتيال والنصب ، وهى طريقة شائعة فى النفوس عامة وفى كل أمر من أمور الحياة من تجارة أو مهنة أو صداقة أو محبة أو عداوة ، وإنما تختلف باختلاف النفوس ولا تمنع من اقترانها بنصيب من الفضيلة أو الصدق أو النزاهة أيضاً ، لأن النفس تجمع بين النقيضين . ويستخدم الايحاء كثيراً فى الاعلانات عن العقاقير والكتب والمؤلفات وغيرها

ومما يزيد الايحاء قوة أن المتأثر به الذى نقل أثر الايحاء إلى عالم حسه ومشاهداته كما أوضحنا يصبح شاهداً يستشهد به صاحب الايحاء كأن شهادته ليست نتيجة أثر ايحائه ، إذ المتأثر بالايحاء بعد أن ينقله إلى عالم حسه ويدعى أنه من أثر مشاهدته ومن أثر اقتناع حواسه ينأى بنفسه ويترفع عن أن يكون ذنباً لصاحب الايحاء تابعاً له ، فيدعى الاستقلال فى الرأى والمشاهدة ، حتى لقد يخدع صاحب الايحاء ، فيتأثر به صاحب الايحاء ، ويتناسى أن رأيه من أثر ايحائه

وقد أتقنت وسائل الايحاء للاعلان عن ممثلى وممثلات الصور المتحركة ، كما أتقنت وسائل الايحاء عند ما تنشر دولة الدعوة العالمية ضد دولة تعاديها أو تحاربها

والايحاء قد يطرد فى شكل سلسلة من الحلقات من انسان إلى ثان ثم إلى ثالث ورابع الخ ، حتى يختفى مصدر الايحاء وأوله ومنشؤه . وإذا كان ايحاء المرء لغيره سهلاً ميسوراً فايحاؤه لنفسه أسهل وأيسر ، لأنه أملك لها ؛ وقد يفطن إلى أن ايحاءه لنفسه مغالطة ، ولكنه يقدس تلك المغالطة كما يقدسها لو كانت من أثر المنطق والاقناع المنطقى ، بل قد يقدسها أكثر من تقديس ذلك الاقناع ، فترى أن وراء هذا العالم المادى الظاهر ، ووراء ما يبحثه به الباحث من منطق يوجد عالم آخر حقيق أن يسمى عالم الايحاء

عبد الرحمن شكرى

من الموضوعات التي نالت الجائزة في المباراة الأدبية

التربية الوطنية الاستقلالية
وأثرها في بناء الأمة
للأستاذ محمد عبد الباري

— ٣ —

ومع أنى لست من القائلين بالفصل التام بين السلطات ، فانى لا أجد فى سلوك القاضى هذا مأخذاً حتى ممن يقولون بالفصل التام . فتصرف القاضى على النحو الذى ذكرت يمكن حمله على حق إبداء الرأى بكافة الوسائل باعتباره عضواً ممتازاً ، بنوع ثقافته وبخبرته ، من أعضاء الجماعة التى يعمل فيها ولها ، وبهذا الوصف لا يكون تصرفه تدخلاً من السلطة القضائية فى شؤون السلطة التشريعية

ومن أدق عمل القاضى حكمه فيما يختص بعلاقة الحكام بالمحكومين . فى هذا المجال بخاصة تظهر قيمة الاستقلال والاقدام والكياسة . وبديهى أن القاضى المقدر لمركزه لا يتردد فى القضاء بما تمليه روح القانون والعدالة . لا يعمل بغير الواجب إذا كان حراً مستقلاً . فالكل أمامه سواء . إن القاضى النزيه المقدام يبعث فى الجماعة الشعور بأن الكل فى حماية القانون ، وهذا الشعور ، يدعمه الواقع ، يعين كثيراً على حرية إبداء الرأى وحرية التصرف ومن ثم يؤدى إلى خير المجموع

حـ — وليست التربية الاستقلالية أقل أثراً فى الشؤون الادارية . فى البيئات الحرة المستقلة يعمل الصغير والكبير بما تقتضيه المصلحة العامة ويوحى به الضمير الحر . يقترن الاحساس بالكرامة باستشعار المسؤولية فلا يخشى المرؤوس أن يبت فى الأمر أو يلق بالرأى ، ولا يشمئز الرئيس من قبول ملاحظات المرؤوس والعمل بها إذا ما تبين وجه الصواب فيها . المستقل لا يصطنع الرياء والملق ؛ ومهما صغر مركزه الاجتماعى فهو فى نفسه كبير ؛ والواثق من نفسه يبرم الأمور ما دامت فى متناول يده ولا يؤجل ولا يتهرب . هذا إذا كان مرؤوساً ، وإذا كان رئيساً فانه لا يرى فى مرؤوسه الحر شذوذاً أو غروراً فيغضى عنه . بل يرى فيه كفاية وإقداماً فيقبل عليه . يقومه إذا أخطأ ويشجعه إذا أصاب ، ويقدره إذا أجاد . بذا تسير أداة الحكومة بلا إبطاء أو عوج ، وتقضى مصالح الناس بلا إرجاء أو إهمال ، لأن كلاً يحتمل نصيبه ويقوم بواجبه

على أنه مما يقوم سبل الادارة ويوجهها جادة الحق سلوك أصحاب الحاجة أنفسهم . ففى البيئات الحرة يستمسك المرء بحقه ، ولا يرى فى عمال الادارة طبقة مميزة عليه ، ولا يعتبر الالتجاء إليهم لقضاء مصالحه استجداء أو استعانة لم يؤد ثمنها . بل يرى أن من حقه طلب ما يطلب فى حدود القانون ، ومن واجب عمال الادارة خدمة الناس خاصتهم وعامتهم فى هذه الحدود ، قياماً بواجبهم وأداء لحقوق الغير عليهم . أما استخذاء الشعب واستكانته إزاء تصرف غير كريم من أحد عمال الادارة فانه يغرى من وهنت أخلاقهم بظلمه وإهمال شؤونه من جهة ويشجعهم على التوانى والعدوان بصفة عامة من جهة أخرى

التربية الاستقلالية كما قلت تنمى فى الفرد صفتى الثقة بالنفس والاقدام . ولهما أهميتهما العظمى فى الوسط الادارى . فالادارة لا تستمد قوتها واستقامتها من النظم الموضوعة فقط ، بل من شخصية منفذى القوانين والنظم . فهم يطبقونها ويفسرونها للخير وللشر ، كبيرهم وصغيرهم كل بنسبة نفوذه وقوة شخصيته . والمقدام لا يتهيب طلب الاصلاح وان صغر مركزه وضاق نطاق مسؤوليته . ولكنه يقدم غير هياب ولا وجل فيكون أكثر انتاجاً وأعظم للجماعة خدمة

وهنا لا أجد مندوحة ، اتباعاً لمنهاجى فى البحث ، عن ضرب مثل برجل الادارة ذى الشخصية والاقدام والاحساس بالواجب

صدر قانون محاكم الأخطاط سنة ١٩١٢ ، ولاحظ أحد كتاب المحاكم الجزئية الأهلية بينما كان يفتش أعمال بعض محاكم الاخطاط سنة ١٩٢٢ ، أن بمحكمة خط المطف قضايا مدنية عظيمة القيمة تحكم فيها المحكمة حكماً نهائياً . وهاله كثرة القضايا ، وخشى أن يكون فى الأمر غبناً على الفلاح بحرمانه حق الطعن فى الحكم ، وغبناً على الخزانة العامة بتحصيلها رسماً مخفضاً .

ولما ناقش الكاتب المختص أجابه هذا بأنه يتبع نص القانون القاضي بأن محكمة الخط تختص بالحكم نهائياً فى المنازعات التى يتفق طرفا الخصومة على أن تنظرها

وفاتح رئيسه القاضى الجزئى فنصحه بأن يلزم حدوده فهذا بحث لا يدخل ضمن عمله الكتابى . لكن الفتى كان حساساً بواجبه فلم يقنع بهذا . وبحث فهداه البحث إلى مخرج وهو أن الاتفاق فى مثل الحالة التى كان يعالجها ضد النظام العام ، فهو باطل لهذا السبب . ذلك أن المدعى فى تلك القضايا كان مقيماً بالقاهرة ومن كبار تجارها . وفعلاً كتب مذكرة برأيه هذا وأبلغه رأساً لرياسة محكمة الاسكندرية ، وهذه بدورها أبلغته لوزارة الحقانية . وماكان أشد سرور صاحبنا لما وصلته بعد قليل من الزمن تعليمات عامة أرسلت بها وزارة الحقانية للمحاكم تقضى بأن مثل الاتفاق المشار اليه باطل . وهكذا انتج احساس كاتب بسيط تعديلاً فى سير المحاكم فى مسألة فيها شيء من الخطورة ، بعد أن سارت عشر سنين على عكس ما ينبغى أن تسير فى هذه النقطة

ذاك الموظف عينه التحق بمصلحة أخرى وكانت الجهة التى يعمل بها تتلقى تعليماتها من وزارة الداخلية . وحدث أن أرسلت الوزارة تعليمات فيما يتعلق بمحاكمة أكبر طائفة من موظفى مصلحته . ورأى هو أن التعليمات لا تتفق مع صريح نص اللائحة المعمول بها . وأنها فوق ذلك تحرم طائفة كبيرة من ضمان هام . فاعترض فى لطف بأنه مع وجود النص الصريح كيف تطبق تعليمات الوزارة بغير أن تعدل اللائحة طبقاً للقانون . ولكن الوزارة لم تأخذ برأيه . فترقب فرصة ملائمة ، لاعتقاده أنه يصعب أن تعدل الوزارة عن رأى بناء على ملاحظات موظف بسيط خارج الوزارة ؛ ثم كتب اقتراحاً بصورة أخرى وأبلغه الوزارة فشجعها على تعديل التعليمات بما يطابق اللائحة دون أن يكون فى ذلك حرج . وفعلاً عدلت الوزارة التعليمات

ولكن من الحق أن نذكر أن هذا الموظف لا يجد عمله هينا دائما ، بل كثيرا ما أوذى لتمسكه برأيه وعدم تقيده بحرف التعليمات دون روحها . بل أحياناً يتعرض للجزاء بسبب رفضه التقيد بلفظ التعليمات المالية إذا كان تنفيذ روحها يحقق مصلحة مالية للهيئة التى يعمل بها ويتمشى مع المنطق ، ولا تتعرض معه المصلحة لنتائج اجراء غير عادل

هاتان واقعتان من الأمور البسيطة . ومن الممكن تصور حالات يؤدى استمساك أحد عمال الادارة برايه فيها الى تلافى قرار ضار أو الى توفير أموال طائلة ، أو اتقاء عمل يحمل الجماعة مسؤليات جساما

لكن جل صغار موظفى الادارة عندنا ، بل كبارهم ، لا يكتفون بموافقة رئيسهم على ما يقول أو يطلب ، وإن خالف القانون والمصلحة ، بل يكادون يسبقون رؤساءهم الى ما يظنون أنه يرضيهم غير مبالين بالقانون أو الحق أو العدل ، وفاتهم أن الرئيس إذا عرف الأمور كما ينبغى ، قد لا يتمسك بالرأى . وغاب عنهم أن للجماعة الذين يعملون لحسابها حقوقاً يجب رعايتها ، وأن لأنفسهم حقوقا تقضى بعدم امتهانها بترويق الباطل وتحويلها الى أداة تصدع بما تؤمر ولا إرادة لها

هذه الظاهرة المحزنة دليل على ضعف التربية الاستقلالية . فمن واجب جميع المصلحين أن يعملوا على القضاء عليها بعدم تشجيع المرائين والمتملقين ، وبتقدير العاملين المخلصين للواجب وللحق والعدل . أما أبناء اليوم رجال المستقبل فيجب عدم ادخار شيء فى سبيل انشائهم على حرية الرأى واستقلال الفكر والاقدام والشجاعة من جهة ، وعلى بغض الطغيان والصلف والتعصب للذات من جهة أخرى

(البقية فى العدد القادم)

محمد عبد البارى

عـــين جالوت

للأستاذ عبد الله مخلص

أذكرنا الأستاذ الألمعي محمد فريد أبو حديد بوقعة عين جالوت بين المصريين والتتار ، ووقفة الأولين فيها موقف الذائدين عن حياض الاسلام الذابين عن كيانه (١)

وما كان الاسلام لينسى لمصر ذلك اليوم الأغرّ المحجل الذي دفعت فيه ذلك السيل المتدافع من التتار وردتهم على أعقابهم يتعثرون فى أذيال الهزيمة والخسران ، ورفعت فيه نير التتار عن أعناق المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان لسنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م)

موقف المسلمين الأول فى عين جالوت

وللمسلمين فى عين جالوت مثل هـذا الموقف المشرّف سبق موقفهم الثاني بنحو ثمانين سنة ، فقد بلغ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اجتماع الفرنجة فى قرية صفورية ورحيلهم إلى قرية الفولة فسار اليهم يطلب حربهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، بينا كانوا ينضم بعضهم الى بعض يحمى راجلهم فارسهم ، وساروا حتى جاءوا عين جالوت ونزلوا عليها ، ونزل السـلطان حولهم ، والقتل والجرح يعمل فيهم ليخرجوا إلى المصاف فلم يفعلوا خوفاً من المسلمين ؛ وكان ذلك أيضاً فى يوم الجمعة السابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٧٩ هـ ١١٨٣ م كأنّ الله اختص تلك الليلة الغراء واليوم الأزهر بالنصر

عين جالوت فى التوراة

وعين جالوت هذه هى المذكورة فى التوراة فى سفر صموئيل الأول فى الاصحاح ٢٩ : ١ باسم عين يزرعيل التى نزل عليها شاول بجيشه فى الحرب التى قامت سوقها بين الفلسطينين والاسرائيلين وأسفرت عن انتحار شاول المذكور بالقاء نفسه على سيفه والقضاء بهذه الصورة على حياته . ومات معه فى هذه الحرب بنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله

(١) الرسالة العدد ١٤٦ الصفحة ٦٢٩

وهى أيضا عين حرود المذكورة فى سفر القضاة فى الاصحاح ٧ : ١ — ٨ ومنها شرب جيش جدعون بن يُوآش المعروف أيضاً باسم يربّعل عند نزوله لحرب المديانيين . وللتوفيق بين رواية القرآن المجيد عن هذه الموقعة أنقل للقارىء الكريم قبل ذكرها رواية التوراة فى الاصحاح المذكور وهذه هى :

« وقال الرب لجدعون كل من يلغ بلسانه من المـاء كما يلغ الكلب فأوقفه حدّه ، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب . وكان عدد الذين ولغوا بيـدهم الى فمهم ثلثمائة رجل . وأما باقى الشعب جميعاً فجثوا على رُكبهم لشرب الماء . فقال الربّ لجدعون بالثلثمائة الرجل الذين ولغوا أخلّصكم وادفع المديانيين ليدك . وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد إلى مكانه »

الى آخر ما جاء فى الاصحاح المذكور الذى ينتهى بخبر انتصار جيش جدعون وفرار المديانيين ومتابعة الأسرائيلين لهم ومطاردتهم

جالوت فى القرآن المجيد

وهذه آيات بينات من الذكر الحكيم عن جالوت من سورة البقرة :

« فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى ، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى ، إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (آية ٢٤٩)

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ ، وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ، وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

قرية جالوت

ولنذكر صفـة قرية عين جالوت فى القديم والحديث : قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : « عين الجالوت اسم أعجمىٌّ لا ينصرف ، وهى بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين كان الروم قد استولت عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن أيوب سنة ٥٧٩ »

قلنا وقد غشيتُ عين الجالوت غير مرّة مع نفر من موظفى الحكومة العثمانية فى قضاء جينين من أعمال نابلس حين كنت فى عدادهم ، وكنا نذهب اليها أحياناً للنزهة وقضاء يوم العطلة ، وكان المـاء يتفجر أمامنا من سفح الجبل فيحيط بالمصطبة التى جلسنا عليها من جميع جوانبها ثم ينساب فى منحـدر يصل إلى مدينة بيسان ويسقى فى طريقه الغلال والبقول

وليست عين الجالوت من العيون الصغيرة ، بل هى نهر صغير يقال له نهر الجالوت ؛ يحاذى سفح جبل قامت عليه بعض القرى والمزارع مثل زرعين[١] ونورس وغيرها ؛ ويقال لهذا الجبل جبل الدحى[٢] وبين هذا الجبل وجبـل الطور المقابل له فى الناحية الشمالية مرج ابن عامر المعروف بوادى يزرعيل كما يعرف جبل الطور بجبل تابور فى التوراة

أما اليوم فان هذه القرية قد أصبحت ملـكا لليهود يتصرفون فيها كيف يشاؤون ، فقد انتقلت ملـكيتها من أصحابها الأصليين العرب اليهم فى السنين الأخيرة بعـد أن وعدتهم الحكومة البريطانية بلسان وزيرها بلفور المشهور بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ومكنت لهم فى أرضها ، وهم كل يوم يقتنصون « بليدة لطيفة » من بلدان فلسطين فيشردون أهلها تحت كل كوكب ، ويبنون وطنهم العتيد على انقاض الاسلام وتراثه الخالد فيغيرون معالم البلاد ويردونها الى أصولها

هذه عين جالوت التى حمت فيها مصر الاسلام والمدنيـة والانسانية قبل سبعة قرون — كما قال الأستاذ أبو حديد — تعود فتتسمى باسمها العبرى القديم عين حرود ، ويسكنها شذاذ الآفاق من اليهود

وفيها اليوم بحسب آخر احصاء لحكومة فلسطين ٤٨٣ نسمة يشغلون ١٣٥ بيتاً

ويا ليت أن المصيبة اقتصرت على ضياع عين الجالوت فقط من العرب ، بل إنها تعدتها إلى أكثر القرى الآهلة فى ذلك الوادى المرع ، وأصبح الباقى القليل عرضة للضياع والانتقال ، إلا إذا أراد الله بالمسلمين والعرب خيرا ، ودفع بالحكومات الاسلامية والشعوب العربية إلى الدفاع عن هذه الأرض المقدسة التى أسرى الله بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام اليها ، وجعلها قبل ذلك موطن أخيه عيسى بن مريم عليه السلام ، إذ ولد بها ودعا إلى عبادة الله فى أرجائها وأنحائها ، ورُفع إلى الله منها

قلنا ليس لمعضلة فلسطين ووقعتها من دون الله كاشفة . أما الدول الاسلامية فمن واجبها أن تحمى المقدسات فى بلاد فيها أولى القبلتين ، وثانى البيتين ، وثالث الحرمين . أما الشعوب العربية فمن مصلحتها أن تستملك وتتاجر وتسكن وتتوالد فى بلاد هى همزة الوصل بين الغرب والشرق ، وخط الاتصال بين آسيا وافريقية ، وباب جزيرة العرب التى أخذ قطانها يحبون كما يحبو الطفل الرضيع ويحاولون الوقوف على أرجلهم

فهل تتحقق الأحلام ، وتنقلب الآلام إلى آمال قبل استفحال الغزوة اليهودية المحكمة بين سمع الدولة البريطانية وبصرها ، بل تحت حرابها وبنادقها ورشاشاتها التى جعلتها حرباً لليهود وحرباً على العرب ؟ ولله الأمر من قبل ومن بعد

(حيفا) عبد الله مخلص

---

(١) اسم هذه القرية فى التوراة يزرعيل وهى من قواعد المدن ومواقع الأحداث فى زمن الاسرائيليين

(٢) اسم هذا الجبل فى التوراة حرمون الصغير وفى قنته مقام يقال إنه لدحية الـكلبى

من أدبنا المجهول — شاعر يرثي ولده بديوان

اقتراح القريح واجتراح الجريح

لأبي الحسن علي الحصري

بقلم الأديب السيد أحمد صقر

(للأستاذ الزيات عزاء وسلوة)

من أغرب الظواهر في الأدب العربي — إن لم يكن في الغربي — أن يرثي شاعر ولده الصغير بديوان كبير، ثم يظل مجهولاً طيلة ثمانية قرون ونصف قرن، لم يحاول أحد خلالها نشره أو التعريف به

وما زالت خزائن الأدب العربي ملأى بالآثار الرائعة التي خلفها لنا الأجداد تجاذب الأحداث أسباب البقاء، حتى إذا ما صرعها الزمن وقفنا على أطلالها نندبها ونبكيها، ونقول كان لنا وكان . . .

من تلك النفائس المشرفة على الفناء ديوان فذ في بابه، غريب في اسمه وموضوعه، نظمه أبو الحسن الحصري صاحب القصيدة المشهورة: يا ليل الصب متى غده؟ سماه اقتراح القريح واجتراح الجريح وكل قصائده في رثاء ابنه الوحيد عبد الغني؛ رزقه وقد بلغ من الكبر عتياً، ورزئه وقد أتم التاسعة من عمره

وكان موته بالنزيف: فسالت حشاشة نفسه من أنفه، وفي ذلك قوله:

لست أنسى مقامه ومقامي   وكلانا مثل القتيل خضيبا
أنفه ينثر العقيق وعيني   تنثر الدمع بالعقيق مشوبا

ليس للحصري غير هذا الديوان على كثرة شعره، ووفرة أدبه، يدلنا على ذلك قوله في مقدمة الكتاب: «والقرآن شعاري، ولذلك لم أجمع أشعاري، سحرت بها العقول فجذتها، ووراء ظهري نبذتها، تركتها لمن يعيها، فيسرقها أو يدعيها، يرثني بغير نسب، ويملكها بغير نشب، حاشا ما في كتابي هذا»

لم يطبع هذا الكتاب ولم يشتهر أمره بين الأدباء، ولم يجر ذكره على أسلات أقلام المؤرخين، ولعل ذلك راجع إلى ندرة وجوده، وقلة ذيوعه . . .

في دار الكتب المصرية نسخة فريدة من هذا الديوان النفيس مخطوطة بخط معتاد فرغ ناسخها من نسخها في سادس ربيع الأول سنة سبع وستمائة، عدد صفحاتها ٢٦٢ من القطع الكبير. بها خروم وخروق، وآثار عرق لا تمكن القارئ من متابعة قراءته

قدم الناظم بين يدي ديوانه ثلاث خطب، أولاها مهملة الحروف، قد بدأها بقوله: «الحمد لله مالك الملك ولا أمد، وممسك السماء ولا عمد، سمكها فأطلع مهلها، وعلم آدم الأسماء كلها، ووعد لأعمال الطاعة، وواعد لأهوال الساعة، لا أمر إلا أحكمه، ولا مراد إلا حكمه، لا إله إلا هو إله واحد لا ولد له ولا والد، أحمده لآلاء أولاها، وأدعوه ملك الأملاك ومولاها» الخ وهي تملأ عشر صفحات، وقد عقبها بقوله: «نثرت فأبلغت، ونظمت فتفننت. وهذه الخطبة على بلاغتها، وإبداع صياغتها حليتها من بدر بحرى ملقوط، وأخليتها من كل حرف منقوط، وأردت أن أشفعها بأخرى منقوطة الحروف، فوجدتني أخرج فيها عن الرسم المعروف، إذ استفتاح الخطب بحمد الله والثناء عليه، وذلك في المنقوطة لا سبيل اليه؛ غير أني اختصرت فأثبت منها ملحا في لمح، ورب دليل في قليل، ورب عثار في إكثار» . ويلي هذا التعقيب الخطبة الثانية وأولها: بثثت بني الخ وهي تقع في ثلاث صفحات. وبعدها الخطبة الثالثة وهي أهمها من الوجهة التاريخية والأدبية. وهي في ٢٩ صفحة. وقد أحببت أن أنقل لك منها شذرات لتعرف قصة الرجل وعقله وتفكيره وأسلوبه في النثر

قال بعد كلام طويل لا وحدة تجمعه، ولا سبب يربطه: «ولما أنقض ظهري، ما وزرت في سري وجهري، وهدم الموت في ابني، ما كنت من الأمل أبني، سألت الله له الانتجاب، فقال لا بد أن تجاب، وأنجبه طفلاً، وأتاني به كفلاً، فنمى مهذباً في مهده، وما زال ينمى بعهده، حتى أكمل تسعة، ورامت سميه الكبار فلم تسعه. كان يروق هلالاً، ويشوق زلالاً، فقالوا يافعاك نافعاك، وقال الله بل هو شافعك. أعطانيه بفضله،

وأخذه بعدله ، فجرحتنى أنياب النوائب ، وقرحتنى أوصاب المصائب ، تترتشا كياً ما اجترحت الى فاطرى ، ونظمت با كياً ما اقترحت على خاطرى ، وقلت عسى الله أن يرحم الناظم الناثر ، فيسلى المحزون ويقيل العاثر ، وسميت هذا الكتاب : اقتراح القريح ، واجتراح الجريح . وضمنته قصائد على حروف المعجم ، وإن كنت من الأحزان كالملجم ، ومقطعات تقفو كل قصيدة فى قافيتها ، على أنها مثيرة الأحزان غير شافيتها ، ونظمت من فصول المنثور ، مقطعات فى الزهد المأثور . على أن خطبى جليل ، وخطابى كليل . فتنزهت فى حديقتين زهراوين أنيقتين ، وبحث عما كان مكتما ، ونحت مفتتحاً ومختتما ، وأنا أستغفر الله من تشحطى فى تسخطى ، ومن عارى الأشعار الكاسدة الأسعار وصفت فيها المقبوحين بالجمال والمنقوصين بالكمال . . . . وكنت نظمت هذه الأشعار إذ قلبى مشتعل ، ثم أخرتها خمس سنين إذ لى مشتغل ، وفكرت فى صرعة الموت ، وفى سرعة الفوت ، فبادرت الآن إملاء هذا الكتاب إذ رغب إلى فيه بعض الكتاب ، رجوت به الترحم على من كل من يقرؤه ؛ وعسى الله ان استحققت العذاب يعفو عنى ويدرؤه » . . . .

* * *

« ابنى متى أبنى مجدا هدمه الدهر يوم مصابك ؟ ومتى أخصب فى ربع أمحله الدمع غب غيابك ؟ تركتنى فى الأظلام نهاراً ، وأجريت دمعى أنهاراً ، فأى مرثية فيك أسلو بها ، وإن أعجب الناس بأسلوبها ، وأى عيشة بعدك ألهو بها ، وحسرتك لا يُطفأ حرّ ألهوبها ؟ أستغفر الله قد سلوت بعض السلو ، بأم العلو ، أنتنى بعدك على الكبر ، فحمدت الله وعددتها من الحسنات الكبر ثم قلت بديهاً :

يهب الله لمن شا ء إناثاً وذكورا
فاذا أعطاك بنتـاً فكن الراضى الشكورا
واسأل الله — لك الخيـر رواحاً وبكورا
وأقم فى العسر واليســر وذر عَنساً وكورا
فلى الأفراخ حُباً تألف الطير الوكورا

وما أتت إلا ورزتها معها ، إنما أقنط نفس المرء وأطمعها ، ساعة أفرح بها فأسلو ، وساعة بالحزن فيك وفيها أخلو ، وطورا أمر أخلاقاً وطوراً أحلو ، إذا ذكرت الموت اشتغل بال أمها بل بالى ، وان نظرت محاسنك فيها اهتاج بلبالى ، فترحتى أكثر من فرحتى ، وسبيل الدنيـا هذى السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

حببت ابنتى وابنى فقد عاشت ابنتى
لهمى ومات ابنى ولم يمت الحب
وما ذكر يشفى كأنثى تهمنى ولكننى راض بما صنع الرب

وبهذا البيت تنتهى الخطبة الثالثة . ويليها شعر الديوان مرتباً على حروف المعجم فى ١٨٢ صفحة ، ويليه مندمجاً فيه مجموعة صغيرة من الشعر فى نفس الموضوع التزم فيها لزوم مالا يلزم ، مرتبة على حروف المعجم كل حرف فيه ١٥ بيتا . وتقع فى ٣٨ صفحة وبانتهائها ينتهى الديوان

الآن وقد قصصت عليك بايجاز قصة اقتراح القريح المجهولة ، أرى لزاماً على أن أقص عليك قصة ناظمه الحصرى المجهول . وموعدنا العدد القادم ان شاء الله ؟

السيد أحمد صقر



للتاريخ السياسي :

٢ - اليوم السابع من مارس

ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

فى ٢٨ فبراير نشرت جريدة « باري ميدى » حديثاً لمراسلها فى برلين مع الهر هتلر ، مبيناً فيه أن زعيم ألمانيا يود إزالة كل خلاف بين الجارتين وتوليد علاقات الود والألفة بين أعظم شعبين فى أوروبا . وفى اليوم التالى ، أى يوم السبت الموافق ٢٩ فبراير ، أرسلت حكومة باريس تعاليم إلى سفيرها فى برلين ، طالبة منه الاسراع فى طلب مواجهة « المستشار الألمانى » ورجائه فى إبانة الطرق التى يعتقد أنها تزيل كل خلاف بين الشعبين الألمانى والفرنسى ، وإعلامه بأن حكومة باريس حريصة على إيجاد التفاهم بين الحكومتين

قام مسيو « فرنسوا بونسيه » بما عهد إليه . فقابله « المستشار هتلر » بحضور « فون نيرات » وزير الخارجية ، وأجابه بأن الحكومة الألمانية باذلة جهدها فى درس الموضوع بدقة ، وقريباً تسلم إلى الحكومة الفرنسية اقتراحاتها . وقد طلب الهر هتلر بقاء هذه المحادثات سرية ، تسهيلاً للوصول إلى الغاية ، فقبلت حكومة باريس ما طلب ، وظلت منتظرة خبراً من برلين ، ولقد جاءها الخبر يوم السبت الموافق ٧ مارس ، وعندها أذاعت هذه المحادثات (١)

وفى مساء الجمعة الموافق ٦ مارس أمر الهر هتلر باجتماع « الريشتاك » اجتماعاً فوق العادة ؛ وفى الساعة ١٢ (فى ألمانيا) من اليوم التالى وبحضور الوزراء وقف على منبر الخطابة وألقى خطاباً طويلاً ثم تلاه بقراءة المذكرة — mémarandum — التى سلمها فون نيرات إلى كل من سفراء بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا قبل القاء الهر هتلر خطابه بساعة ، وقبل أن يترك منبر الخطابة أعلن أنه يحل « الريشتاك » ليتمكن الشعب الألمانى من إبداء حكمه فى أعماله وزملائه خلال السنوات الثلاث الأخيرة ؛ وقد قرأ الجنرال « كيرنك » أمر الحل ، وتعيين موعد الانتخابات فى ٢٩ منه

وكان صوت زعيم ألمانيا قوياً وواضحاً ، ولكن وجهه كان شاحباً ، ودالاً على خطورة القرار الذى اتخذه ، كما أن وجوه الوزراء الصامتة والمفكرة ، إذ ذاك ، تفكيراً عميقاً وقلقاً ، تظهر جلياً خطر الساعة وتخوفهم من العاقبة

وفحوى خطابه أن ألمانيا بلاد سلمية ، تريد العيش بسلام مع جاراتها ، غير أنها لا تقبل ألا تكون متساوية وإياهم فى الحقوق ، وهى تريد نيل هذه المساواة والعمل مع الدول الأخرى على تقوية السلام ، وإن حكومة برلين قد بذلت جهدها فى التفاهم مع الدول الأوروبية ، ولا سيما مع فرنسا ؛ غير أن جهودها لم تقابل بحسن نية ، بل قوبلت بالعمل ضد ألمانيا وحصرها ، وكان آخر هذه الأعمال المعاهدة الفرنسية الروسية التى هى موجهة ضد ألمانيا ، وقال :

« إنها لمأساة مروعة أن نرى فى نهاية السنة التى بذلنا جهوداً شريفة خلالها لنيل ثقة الشعب الفرنسى ، انعقاد تحالف حربى نعلم ابتداءه ولكن لا يمكن التنبؤ عن نهايته

« ان المحالفة الفرنسية الروسية لا تتفق مع معاهدة لوكارنو ؛ وإن تلك المعاهدة تمكن أمبراطورية حربية عظيمة من تهديد أوروبا الوسطى عن طريق « التشكوسلوفاكيا » التى عقدت مع الروسيا معاهدة مماثلة للمعاهدة الروسية الفرنسية

« إن روسيا السوفيتية دولة قائمة على مبادىء فلسفية ثورية ، وإن ادخال هذه القوى الحربية الهائلة الى أواسط أوروبا يهدم التوازن الدولى الاوروبى . . . »

ولم يذكر الهر هتلر مشكلة المستعمرات إلا عرضاً ، وأبان بأن حلها سيكون عن طريق المفاوضات الودية ، كى لا يثير الرأى العام البريطانى عليه ، وقد بذل فى سبيل نيل عطفه جهوداً أنتجت الثمر الذى يريده

وبينما كان الهر هتلر يلقى خطابه التاريخى ، كانت الجيوش الألمانية تعبر أراضى الرين وتحتل فى كولون ، دسلدورف

(١) انظر خطاب مسيو سارو إلى الشعب الفرنسى فى ٨ مارس (الطان ١٠ مارس)

— Dussoldorf — وميتز وغيرها من مدن أراضى الرين

وقد اختلف فى عدد هذه الجيوش ، فهى ثلاثون ألفا حسب التقرير الألمـانى ، وتسعون ألفا حسب التقرير الفرنسى ، وما يقرب من ستين ألفاً حسب الرأى الانكليزى

وجدير بالذكر أنه عند ما أعلم الهر هتلر صباح السابع من شهر مارس ، مسيو فرنسوا بونسيه بعزمه ، أضاف باعتناء بأن احتلال أراضى الرين ما هو إلا رمزى . ولـما ثار الرأى العام ولا سيما فى فرنسا على التناقض الجلى بين قول زعيم ألمـانيا وبين الواقع ، أرسلت حكومة برلين ، فى ١٤ مارس الى لندن وباريس تصريحاً تقول فيه بأنه لا يوجد فى أراضى الرين إلا (٣٦٫٥٠٠) ستة وثلاثون ألفا وخمسمائة جندى ... وإذا عُلم بأن عدد سكان هذا الأقليم يبلغ خمس عدد سكان ألمـانيا أى أربعة عشر مليونا ونصف مليون ، ومساحته ثمن مساحة المانيا ، وفيه مدن كبيرة يظهر من عدد الجنود التى فيه بأن احتلاله لم يكن إلا رمزيا

وأعلنت المـانيا فى الذكرة التى قدمتها الى دول لوكارنو الأربع بأنها غير مرتبطة بمعاهدة لوكارنو . وذكرت فى صدرها الأسباب التى دعتها الى اتخاذ هذا القرار وكلها مبنية على مناقضة المعاهدة الفرنسية الروســـية للوكارنو ، وتقول الحكومة النازية بأنه :

(١) لا جدال فى أن المعاهدة الفرنسية الروسية موجهة خصيصاً ضد المانيا

(٢) لا خلاف فى أن فرنسا أخذت على عاتقها واجبات ، فى حالة حدوث اختلاف بين المانيا والروسيا تفوق الواجبات التى تضعها على عاتقها عصبة الأمم ، وأنها — أى الواجبات — ترغم فرنسا على اشهار السلاح ضد المـانيا ، حتى فى الحالة التى لا تستطيع فيها نيل موافقة عصبة الأمم أو قرار بذلك

(٣) فى مثل هذه الحالة تدعى فرنسا الحق فى أن تقرر وحدها وحسب إرادتها من هو المعتدى — Agresseur —

(٤) لا جـدال فى أن فرنسا قد أخـذت على عاتقها واجبات نحو الروسيا توجب عليها العمل فى بعض الظروف ، كما لو كان ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة لوكارنو ، التى تستند على ذلك الميثاق غير موجودين

وتدعى الذكرة أن المعاهدة الفرنسـية الروسية أوجدت حالة دولية جـديدة ، وأزالت النظام السياسى لمعاهدة لوكارنو فى حرفه وفى معناه و « بالتالى فقدت لوكارنو السبب الذى من أجله أنشئت ، وعمليا زال وجودها . ولذلك ترى المانيا أنها غير مرتبطة بهذه المعاهدة الملغاة »

وتنتهى هذه الذكرة بتقديم حكومة برلين الى دول لوكارنو نظاماً سياسياً جديداً ليحل مكان معاهدة لوكارنو وليزيل الاضطرابات السياسية الدولية ، ويولد — فى رأى حكومة برلين — الثقة الدولية التى بدونها لا تتقدم المدنية ولا يستمر السلام . وأهم نقطه :

« أن الحكومة الألمانية تصرح بأنها مستعدة للتفاوض مع فرنسا وبلجيكا لانشاء اقليم مشترك غير مسلح ، وأنها توافق من الآن على مقدار امتداده ومساحته ، على شرط المساواة القطعية فى ذلك . والحكومة الألمانية تقترح إيجاد معاهدة عدم الاعتداء Non Agression بينها وبين فرنسا وبلجيكا لمدة ٢٥ سنة ، وأن تكون بريطانيا وايطاليا كفيلتين على ذلك

والحكومة الألمـانية مستعدة لامضاء معاهدة تمنع الهجوم الجوى الفجائى ، ومعاهدة عدم الاعتداء مع جاراتها فى الشرق كالمعاهدة التى عقدتها مع بولونيا

وبما أن حكومة برلين قد نالت المساواة فى الحقوق وأقامت سيادتها القومية فى البلاد الألمانية أجمع ، فهى مستعدة للاشتراك فى عصبة الأمم ، وتأمل الوصول فى وقت قريب ، عن طريق المفاوضات الودية الى المساواة فى المستعمرات وفصل عصبة الأمم عن معاهدة فرساى »

وقد صرح مستر ايدن فى مجلس العموم فى ٩ مارس أن السفير الألمانى أعلمه بأن حكومته ما عرضت اشتراكها فى عصبة الأمم إلا لتسر الأنكليز وترضى الرأى العام البريطانى !

***

تبع الضربة المسرحية فى برلين اضطراب شديد فى الدوائر السياسية . . . وكانت برلين فى قلق شديد ، تارة ترى أن عملها يذهب الثقة بعلاقاتها الدولية ، وأن حوادث ٧ مارس ستقرب فرنسا من بريطانيا . وتكون نتيجة ذلك الحصر الكامل لحكومة

برلين والضربة القاضية على سياسة هتلر الخارجية ؛ وتارة ترى أن الفرج قريب إذ لندن غير موافقة على اقتراحات باريس فى تطبيق « العقوبات » عليها وإرغامها على سحب قواها الحربية من أراضى الرين . وقد أخذ رجال الحكومة النازية فى إلقاء الخطب وتدبيج المقالات ، وبعضها موجه الى الشعب البريطانى للتقرب اليه ونيل عطفه ، والبعض الآخر يهدد فرنسا إن هى لم تقبل منهاج هتلر وتسير عليه

وكان الهر هتلر فى جميع خطبه يتودد إلى « الرأى العام » وخصوصاً البريطانى ؛ وكان يوجه نداءه إلى « رجل الشارع » ويصرح بأنه يريد التفاهم الخالص مع فرنسا ... وبأنه لا غاية لألمانيا إلا العيش بسلام مع جيرانها ، وأن العمل الذى قامت به ما كان إلا لتحقيق سياسة دولية عملية مبنية على المساواة فى الحقوق وعلى السلام فى أوروبا ، وانعاش الاقتصاديات الدولية ..

ولما قامت الصحف الباريسية باظهار سوء النية المطوى فى منهاج الهر هتلر وفى أنه يريد السلام مع دول ، والحرب مع دول أخرى ... ولما سأل السير أوستن شمبرلين فى مجلس العموم عما إذا كانت النمسا فى الدول التى يريد الهر هتلر عقد محالفات « عدم الهجوم » معها ، اضطر الهر هتلر الى التصريح لمراسل جريدة لندنية بأنه مستعد لعقد معاهدات « عدم الهجوم » مع النمسا وكذلك مع تشيكوسلوفاكيا ...

أما الجنرال كيرنك فكان يحمل علم التهديد ، وقال فى خطابه الذى ألقاه فى فرنكفور فى ١٧ مارس : ربما أثر التهديد « بالعقوبات » فى ألمانيا عام ١٩٣٢ ، ولكنه لا يؤثر على الشعب الذى تدرب طيلة السنوات الثلاث الأخيرة فى مدرسة النازى ، وإن استعمل الضغط الاقتصادى ضد ألمانيا فانها تدعو الحزب النازى إلى المعركة القاسية التى تولد حماسة مقدسة وتشد عزم الشعب الألمانى وتزيد قواه ، وإن تهديد ألمانيا حربياً لا يثبط عزيمتها ، بل هى تجيب على ذلك : « إنكم كنتم نياما . أما ألمانيا فلم تكن نائمة » إنها قد تسلحت وأصبحت جد قوية ، وهى لا تهاب شيئاً ... وإن الذى يود تهديدها والاعتداء عليها سيدفع ألوفاً من الأرواح بدل كل « بوصة » من الأراضى الألمانية . . . ولا يحق لأحد غير الشعب الألمانى أن يحكم فيما إذا كان عمل ألمانيا قانونياً أم لا (!!) . إن ألمانيا قدمت خدمات جليلة للسلام ، غير أن هناك أموراً لا يمكنها عملها : يجب أن تبقى الجيوش الألمانية فى أراضى الرين

وكان الدكتور كبلس يساعده على رفع ذلك العلم ، فحاول فى الخطاب الذى ألقاه فى ١٠ مارس فى برلين مجيباً مسيو سارو الذى قال بأنه لا يمكن الاعتماد على المعاهدات التى تعقد مع ألمانيا ، اقناع الرأى العام بأن ألمانيا تحترم امضاءها وتحافظ على حرمة المعاهدات التى توقعها ، ودليله على ذلك بأن ألمانيا محترمة معاهدتها مع بولونيا (!) . وقال بأنه يجب على فرنسا أن تعتبر بدقة الحالة الراهنة ، لا بالتشبث ببنود معاهدة لا يمكن للشعب الألمانى احتمالها (!!)

ولقد خرج فى كلامه عن اللياقة الدبلوماسية حين قال فى خطابه الذى ألقاه فى فرنكفور فى ٢٣ مارس : « إن ألمانيا ترفض العمل ضمن الدائرة السياسية القديمة . سياسة القطة التى تسير حول الحليب الساخن . إن الجيوش الألمانية قد احتلت أراضى الرين ، فيجب أن تبقى هناك برمتها دون أن يسحب منها جندى واحد ... وسترغم الأمم على المفاوضة مع ألمانيا حسب « اقتراحات الهر هتلر » خلال الأشهر القادمة ، أرادت ذلك أو لم ترده ......

(لندن) (يتبع) يوسف هيكل

دكتور فى الحقوق

ملاحظات متواضعة على مشروع

ترجمة معانى القرآن الكريم

بقلم المستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

وليس من شك فى أن الله عز وجل حين أنزل القرآن الكريم شاء أن يعم نشره بين الملأ ، لا ليجعله وقفاً على أولئك الذين يحتكرون معانيه فى صدورهم ، ولا يعملون على ترجمته ونشره بين الذين هم أقل مكانة منهم فى المعرفة . ألم يقل النبى الكريم : بلغوا عنى ولو آية ؟ وكيف يكون التبليغ إلا إذا كان بنقل القرآن الى لغات الأمم والشعوب ؟ وقديماً اعتبرت التفاسير ترجمة لمعانى كتاب الله وتحليله وشرحه حتى يكون فى متناول أذهان الأمم قاطبة

إن الاسلام دين الأذهان المستنيرة ، وإن أصحاب العقول البارعة يجدون فيه متعة روحية شهية ، وسوف يكون هذا الدين بفضل ترجمة كتاب الله معتقدُ الطبقات الرفيعة فى العالم . وأنا أعرف فى بلادى وفى أوربا عامة رجالا مستنيرين فى أرفع الأسر يحترمون الاسلام لمجرد أنهم قرأوا ترجمة كتاب الله الكريم ، وهم يوشكون أن يتخذوه دينا ولو فى سرائرهم . ومنذ خمس سنوات أسلم فى ڤينا رجل من أعرق الأسر الرفيعة ، هو البارون آرن فلس وسمى نفسه عمر . وأسلم مجرى آخر كبير هو فيلكس فاى . وهذا دليل على سمو الاسلام الروحى والذهنى لأنه دين صحيح يستولى على رجال الفكر ويقنعهم بصحة آرائه . إن الاسلام لايدعو الى الأنانية والتعصب ، بل إلى الأخوة والحضارة الجديدة ونشر ألوان العلم والعرفان ، وترجمة القرآن هى أول خطوة فى سبيل قبر التعصب والجهل

من ذلك أرى أنه لزام على العلماء أن يظهروا للناس كتاب الله ، ولا يجعلوه وقفاً على من يعرفون العربية وحدها . بل يجب عليهم أن يترجموا معانيه ويقبلوا على تفسيرها ولا يخشوا فى الحق لومة لائم

فلا العلوم الحديثة ، ولا المعارف ، ولا فلسفة الغرب تستطيع أن تطفىء نورانيته وعظمته ، فهو كالشمس إذا سطعت حجبت ذبالات الشموع الخافتة . ولتأخذ هذه التراجم صفة الشروح والتفاسير بدلاً من أن يطلق عليها فى اللغات الأخرى اسم «القرآن»

أجل فلنقاوم الجهل والتعصب ، ولننشر كتاب الله الكريم لا فى الانجليزية وحدها ، بل فى لغات الملايو والهندستانية والمغولية ، وليكن نشر هذا الكتاب بنفس أسلحة القرن العشرين . فالفاصل الذى يفصلنا اليوم عن المعرفة الحديثة شاسع جداً الى حد يجعل اعتمادنا على ما فى أيدينا من تراث الأجيال ، من الأسلحة العتيقة التى لا يمكننا بها مقاومة الموجات التى تجرفنا من عالم الغرب

ومن رأيى أن ترجمة معانى القرآن ستنتج عنها مسائل هامة . فبعض الناس عارضوا هذه الفكرة بحجة أنها ستكون سببا فى فصم عرى الوحدة العربية ، وستحدث تقاطعاً بين الاخوان المسلمين فى أنحاء العالم ، ولكن بالعكس ، فالترجمة ستكون سبباً فى إشعال الحماس الدينى عند ملايين ممن لا يفقهون كتاب الله الكريم ، وستساعدهم هذه الترجمة على تفهم اللغة العربية وازدهار عصر التبشير الاسلامى

***

وإذا ما أتيح لنا أن نستقصى البواعث التى أدت الى انحطاط بعض الطوائف الاسلامية وجب أن نسلم بأن سببها أن حكامهم كانوا يتكلمون لغة لا يفقهها العامة . وعلى الرغم من تعاليم الاسلام السامية ظلت هذه الطوائف ترسف فى العبودية والجهالة والفقر ، حتى نتج من ذلك وقوعها فى كثير من الأضاليل والبدع التى لا أصل ولا وجود لها فى التعاليم المحمدية النقية . حتى أجبرت هذه الطوائف على الخنوع والزمت أن تحنى رؤوسها احتراما أمام الجبروت الطاغى . هنالك وجدت سلوتها فى الشعوذة الدينية ، وأصبحت على عيون أهلها غشاوة تحجب عنها حقيقة الدين الحنيف . وانحط مستوى اللغة العربية الى حد تفشت فيه الأمية وانتشرت العامية بين الأوساط الراقية . ومما أذكره

أندلسيات

أبو الفضل بن شرف
الشاعر الفيلسوف
للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

[بقية ما نشر فى العـــدد ١٤٩]

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر ، وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم . فقال له : من أى البوادى أنت ، قال أنا من الشرق فى الدرجة العالية ، وإن كانت البادية على بادية ، ولا أنكر خالى ، ولا أعرف بحالى . فمات ابن أخت غانم خجلاً ، وشمت به كل من حضر . وهذا ابن أخت غانم العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن فى علوم شتى إلا أن الغالب عليه علم اللغة . وكان قد رحل من مالقة إلى المرية فحل عند ملكها المعتصم ابن صمادح ، وله تآليف منها شرح كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى فى ستين مجلداً . قال ابن اليسع فى مغربه إنه حدثه بداره بمالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام ٥٢٤ ... وغانم خاله الذى يعرف به هو الامام العالم الأديب أبو محمد غانم بن الوليد المخزومى نسب اليه لشهرة ذكره وعلو قدره . ومن شعر الامام أبى محمد غانم هذا قوله — وقد دخل يوماً على باديس بن حيوس صاحب غرناطة ، فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال بديهاً :

صيّر فؤادك للمحبوب منزلة   سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضاً فى معاشرة   فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقوله :

الصبر أولى بوقار الفتى   من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله   كان على أيامه بالخيار

وقوله فى نكبة المعتمد بن عباد :

ومن الغريب غروب شمس فى الثرى
وضـــياؤها باق على الآفاق

وقوله :

ثلاثة يجهـــل مقدارها   الأمن والصحة والقُوتْ
فلا تثق بالمـال من غيرها   لو أنه دُرٌّ وياقوت

وكل ذلك من الحديث النبوى الشريف : من أصبح آمناً فى سربه معافى فى بدنه ، معه قوت يومه ، فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها . ومن بديع قول أبى الفضل بن شرف المترجم من قصيدة يمدح بها المعتصم بن صمادح :

لم يبق للجور فى أيامكم أثر   غير الذى فى عيون الغيد من حور

وأول هذه القصيدة :

قامت تجر ذيول العصب والحبر   ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

ومن هذه القصيدة فى وصف السيف :

إن قلت ناراً أتندى النار منهبة   أوقلت ماء أيرى المـاء بالشرر

ومنها فى وصف الدرع :

من كل ماذية أنثى فيا عجبا
كيف استهانت بوقع الصارم الذكر(١)

(١) راجع القصيدة فى القلائد

والأسى يقطر من فؤادى ، أننى لما زرت القاهرة لأول مرة كان الناس يدهشون إذ يرون رجلاً أجنبياً يتكلم العربية الفصحى ، مع أنه أمر مألوف فى الأوساط الألمانية والانجليزية ، ويندر أن تجد واحداً يتلفظ بكلمة واحدة دارجة

فليكن فى ترجمة القرآن إذن ، رفع لقدر اللغة العربية ، وليكن رفعها الى مستوى الكتاب ، فالقرآن هو مصدر الثقافة الاسلامية وسبب انتشارها فى الشرق والغرب ، وهو السلاح الماضى الذى يحسم الداء

لقد كان انجيل لوثر سبباً فى رفع شأن اللغة الألمانية ، وسبيلا الى ادماج لهجات القبائل المختلفة بعضها فى بعض ، فيجب أن تكون ترجمة القرآن الكريم سبباً فى رفع العربيـة ، وليرع الأزهر هذه الحركة الجديدة بكل ما فيه من عزيمة وقوة حتى تخرج الى حيز العمل . فقد كان القرآن كلمة الله فى البداية ، ومنها انبعث كل ما فى الاسلام من محبة واخوة وسلام

(بودابست)   عبد الكريم جرمانوس

وكان قد وفد على المعتصم مرة يشكو عاملاً ناقشه فى قرية بحرث فيها وأنشده الرائية المذكورة . ولما بلغ قوله : لم يبق للجود فى أيامكم أثر . قال له المعتصم : كم فى القرية التى تحرث فيها ؟ فقال : فيها نحو خمسين بيتاً ، فقال : أنا أسوغك جميعها لهذا البيت الواحد ، وعزل عنها نظر كل وال ... ومن شعر أبى الفضل بن شرف : —

يا من حكى البيدق فى شكله … أصبح يحكيك وتحكيه
أسـفله أوسع أجزائه … ورأسه أصغر ما فيه

وقال : —

لعمرك ما حصلت على خطير … من الدنيا ولا أدركت شيئا
وها أنا خارج منها سليبا … أقلب نادماً كلتا يديا
وأبكى ثم أعلم أن مبكا … ى لا يجدى فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لهول الموت لكن … بكيت لقلة الباكى عليا
وإن الدهر لم يعلم مكانى … ولا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا … إذا أنا بالحمام طويت طيا
أسر بأننى سأعيش ميتا … به ويسوءنى إن مت حيا

ويروى له : —

ألحاظكم تجرحنا فى الحشا … ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا … فما الذى أوجب جرح الصدود

وأرسل اليه الشاعر ابن اللبانة بأبيات يواسيه بها ويحثه على النهوض وهى : —

يا روضة أضحى النسيم لسانها … يصف الذى تهديه من أرجائها
ومن اغتدى ثم اهتدى لطريقة … ما ضل من يسعى على منهاجها
طافت بكعبتك المعالى اذ رأت … أن النجوم الزهر من حجاجها
شغلت قضيتك النفوس فأصبحت … مرضى وفى كفيك سر علاجها
هلا كتبت إلى الوزير برقعة … تصبو مع الطفه إلى ديباجها
تجد السبيل لهم ولا تك للمنى … وينير سعيهم بنور سراجها
أنت السماء فما بها لك رفعة … طلعت عليه الشهب من أبراجها
وشحت مفارق كل فضل عنده … فاجعل قريضك درة فى تاجها

فكتب اليه المترجم :

يا منجدى والدهر يبعث حربه … شعثاء قد لبست رداء عجاجها
نفساً تمادى الدهر فى إحراجها … لله درك إذ بسطت إلى الرضا
كالراح يكسر حدها بمزاجها … وأرقت ماء الود فى نار الأسى
من غلة كالنار فى إنضاجها … فيأتينى تلك الغمام فبردت
د نسيمها وكرعت فى ثجاجها … فأويت تحت ظلالها ووجدت بر
أم كيف تفتح بعد سد رتاجها … قل كيف تنعش بعد طول عثارها
قامت براهين على منهاجها … لأزيد فى أمرى وضوحا بعد ما
خرقاء تمشى فى الضحى بسراجها … فأكون إن زدت الصباح أدلة
يأس النفوس أحق فى اثلاجها … دعنى أبرد بالقناعة غلة
ومنعتها من ليس من أزواجها … بكر بخلت على الأنام بوجهها
مثل السلوك تصان فى أدراجها … وصرفتها محجوبة بصوانها
أغمادها والغيد فى أحداجها … كالنور فى أكمامها والبيض فى
أعيا على النصاح طول لجاجها … فالنفس إن ثبتت على أخلاقها

وإنك لترى للمترجم له مع ذلك رسائل(١) بديعة أنيقة الوشى حسنة التحبير ، تنم على دقة حسه البيانى ، وذوقه الفنى ، وتفننه فى جميع فنون المراسلات والمراجعات ، وأنه محسن فى جميع فنون الأدب إحسانه فى الطب والحكم ، فهو شاعر كاتب حكيم طبيب ، ولا جرم أنه انحدر من صلب ذلك الأديب العبقرى ابن شرف القيروانى الذى غمر ابنه هذا وأخمله حتى نحله مؤرخو الأدب العربى فى عصرنا أكثر شعر ابنه

عبد الرحمن البرقوقى

(١) راجع هذه الرسائل فى القلائد

الحياة الأدبية فى شرق الأردن

بقلم السيد جريس القسوس

ما كنت أرغب فى التعرض لهذا الموضوع ، لو لم تنشر (الرسالة) الغراء بحوثاً ممتعة لمختلف الكتاب عن الحياة الأدبية فى بلدانهم . لهذا رأيت من واجبى ، وأنا بعيد عن شرق الأردن ، أن أقدم للقراء الكرام صورة صادقة بقدر الامكان عن الحياة الأدبية فى شرق الأردن . أقول هذا وأنا أشعر بحروجة الموقف ودقته ، إذ لا يخلو مثل هذا البحث من بعض الخطأ مهما توخى الباحث العدل والصدق فى بحثه

لم تكن بلاد ما وراء الأردن ، منذ خمسة عشر عاما ، إلا جزءاً من سورية لاينفصل ، فهى لذلك بلاد فتية فى تكوينها السياسى وفى نهضتها الأدبية والاجتماعية . أما والمقصود من هذا المقال النهضة الأدبية ، فلنقتصر على هذه ، تاركين البحث فى السياسة والاجتماع لعلمائهما

دبت فى شرق الأردن حياة أدبية جديدة ، لم يكن لنا عهد بها قبل بزوغ فجر الأمارة . فكان أول عمل قامت به الحكومة فتح المدارس الأميرية ، من قروية وابتدائية وثانوية ، وتحسين برامج التعليم ، وتوحيدها إلى حد ما ، فى مختلف المدارس الطائفية وغير الطائفية ، حتى أصبحت تنهج جميعاً نهجاً واحداً سوياً نحو ايقاظ الروح العربية الكامنة ، والتوفيق بينها وبين التيارات الجارفة التى بدأت تطغى على هذه البلاد من الغرب .

كانت شرق الأردن بحكم الوضع السياسى والجغرافى ، قبل الحرب العظمى ، بلداً مجهولاً ، ولانزوائه وانقطاعه عن البلدان العربية المجاورة لم يتسن لأهله الاحتكاك بأهل الأقطار الأخرى كل الاحتكاك ، فتمتزج بذلك الثقافات ، ولو كانت شبه متجانسة ، فتتفاعل ويتولد عن ذلك روح ويقظة جديدتان .

كانت الحياة الأدبية قبل ذلك راكدة ، والنفوس فاترة ، والمواهب كامنة ؛ فلم تنبعث إلا بتأليف حكومة سمو الأمير المعظم ؛ عندئذ دخلت البلاد فئة راقية من أدباء الأقطار المجاورة ، وخاصة سورية ؛ فكان دخول هذه الفئة البلاد باعثاً كبيراً على احياء الأدب العربى ، واحداث نهضة فكرية مباركة لا نكون مبالغين إذا سميناها بالرنسانس ؛ فكان مثلاً لقصائد الشيخ فؤاد باشا الخطيب (١) شاعر الثورة ، والأستاذ محمد الشريقى (٢) وغيرهما من الأدباء الذين رافقوا الثورة العربية ، وطوحت بهم الأقدار إلى هذا القطر الجديد ، أثر لا يستهان به فى احياء الآمال فى نفوس الأحداث ، وقد كانت ميتة آنئذ ، وفى ايقاظ الروح الأدبية الكامنة ، وتوجيهها فى السبل القويمة

ولقد نشطت الحكومة ، بعد استقرار الوضع السياسى فى البلاد ، إلى ارسال البعثات العلمية سنوياً إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت وغيرها من المعاهد الراقية فى سورية وفلسطين ، وتنبه الشعب الأردنى الى فضل العلم والأدب فى نهضات الشعوب ، فبادروا الى ارسال أبنائهم على نفقتهم الخاصة الى بيروت والجامعة السورية فى دمشق ، والى المدارس الثانوية فى فلسطين ، ولكثرة الطلاب كثر الاقبال على مطالعة الأدب ، المصرى منه والسورى ؛ فكان أثره فى ايقاظ الحركة الفكرية ، وتجديد الحياة الأدبية غير يسير

كل ذلك كان يحدث ، بينا الصحافة المصرية تغذى نفوس الأحداث بأدبها الراق وعلمها الصحيح . ولا أبالغ إذا قلت إنه كان « للرسالة » أثر ملموس فى إحياء النهضة الفكرية ، وتشجيع الحياة الأدبية فى البلاد . فقد كان اقبال الطلاب خاصة على مطالعتها شديداً . وإننى أذكر — على سبيل المثال — أنه كان يباع منها فى حين نحو ثمانين عدداً أو أكثر فى بلد صغير كالسلط . « فالرسالة » وغيرها من المجلات والصحف العربية كانت ولا تزال ، تسد عوز البلاد وافتقارها الى صحافة حرة تعمل على تشجيع الانتاج الأدبى ، « وتحيى فى النشء أساليب البلاغة العربية »

بيد أنه ، وان لم يقم فى شرق الأردن إلى الآن مؤلف بالمعنى الصحيح ، أو أديب منتج يستمد مادته وموضوعه من الحياة ، إلا أننا نرى طلائع نتائج هذه العوامل المختلفة فى تكوين النهضة الأدبية الحديثة فى قيام فئة قليلة من حملة الأقلام النثرية كأديب عباسى ، والدكتور محمد أبوغنيمة ، وبشير الشريقى ، وعبد الحليم عباس ، والبدوى الملثم وغيرهم ؛ والشعرية أمثال مصطفى وهبى التل شاعر النور ، وصاحب ديوان « عشيات وادى اليابس » ، وحسنى فريز ، والشيخ رشيد زيد ، وحنا الشوارب وغيرهم من الأدباء الأحداث

(١) مستشار سمو الأمير الخاص (٢) مفتش المعارف الحالى

لكن شرق الأردن تمتاز عن الأقطار العربية الأخرى ، وخاصة الساحلية ، بنوع خاص من الأدب ، أعني به الشعر البدوى . وهو ، وان قل ، من حيث الكمية والنوع عما قبل ، فانه لايخلو من عناصر حية تميزه عن غيره من الشعر الراقي المعروف في شرق الأردن وفي كثير من البلدان العربية . والشاعر البدوى شاعران : شاعر راوية ، يحفظ ، على أميته كمية وافرة من القصائد المختلفة ، قديمة كانت أم حديثة ، ويلقيها في شتى المناسبات كمجالس الشيوخ والأفراح المختلفة من مولد وختان وعرس ؛ وشاعر منشيء مبتكر ، وعدد الفئة الأخيرة يسير جداً إذا قيس بالفئة الأولى . وأكثر ما يكون الشعراء المنشئون في مضارب البدو على سيف الصحراء . أما أشهر أبواب الشعر البدوى فالمدح والحماسة والغزل والعتاب والرثاء . ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نتبسط في وصف هذا الشعر ، وفي معالجة شتى أبوابه بإسهاب ؛ لكننا نقتصر على ذكر فريق من الشعراء البدو المخضرمين — أي الذين نشأوا في أواخر القرن التاسع عشر ولحقوا العشرين — ونخص منهم بالذكر نمر العدوان ؛ وقصيدته في رثاء زوجه فصحاء مشهورة ، تتناقلها الألسنة في كل مكان . وهو يستهلها بمخاطبة ابنه عقاب قائلاً : —(١)

البارحة ياعقابْ يومَ القمرْ غاب بليلة العيد السعيد الجديد

إلى أن يقول ، واصفاً نفسه بعد ما ألم بها من حزن لفقد زوجه :

كل ما غشيت امراحْ أو جئتْ مرقابْ
لَجوح جوحَ الذيب وعضْ بيدَى
أنهفْ ونوح وَاقطر الدمعْ سكّابْ
على صويحبي الّلي راح ما هو من ايدّى
يا قلبي تقولْ سفوتَ حديد شبّاب
ياهجتي لوانّه حجرْ كن صار شيد
من لامني يا عقابْ يبلي بارقط ناب
من جنّة الوهاب ما يستفيد

ومعنى هذه الأبيات « أنني كلما مررت بربع ، أو صعدت جبلا ، عويت كالذئب ، وقضمت كفي حزناً ، ونحت وسكبت الدمع مدراراً على صاحبي المفقود ؛ وأن بقلبي ناراً تضطرم اضطراماً يكاد منها ذلك القلب لو كان حجراً ، أن يصير كلسا . ألا فليبتل يا عقاب من لامني في ذلك بحية تميته ميتة لا يدخل بعدها الجنة »

ومن هؤلاء الشعراء أيضاً أبو الكباير من قبيلة الشرارات ، وهو مشهور بالشعر الحماسي ، ووصف الغزوات والمعارك . وقصيدته في مدح عودة أبي تايه(١) وقد تحاربت قبيلته مع أهل الكرك . وفي هذه القصيدة يقول ، بعد أن يستهلها بذكر الله وطلب عفوه وغفرانه ، شأن غيره من شعراء البدو :

قُمْ يا علي نْشرفْ على كلّ طايلْ
شـدّيتْ عوصا تقطعْ الدوّ حايلْ

أي انهض يا علي (وهو بطل الطليعة) وأعدّ فرسك ، لنقطع الفلاة ، ونشرف على مواقع الأعداء .

إلى أن يقول واصفاً مرابع عودة أبي تايه :

تلقى بيوتاً بنوا بي نزيله تلقى حميل دلالهم عن نفيله
ألبن بالهيوان تسمع صهيله عزام لوجوه المسايير زافات
تلقى شاياً عندهم مستعدٍّ الحرّ اللّي باللازم يسدّ
عنه بجوض الخيل يوماً يهد
عن حرب أبو تايه اللّي لَهْ الفعل عاداتِ

(أي تلقى منازلهم مضروبة في أعلى الروابي دلالة على شجاعتهم ، وعدم خشيتهم العدو ؛ وفي مطارح النار تلقى حثالة البن دلالة الجود . وفي تلك الخيم تسمع صوت الهاون ؛ إذ يدق فيه البن ، فيكون بصوته ذاك داعياً للخير والضيافة ؛ تجد شيخاً حراً مضيافاً ، وفارساً مغواراً تتجنب الفوارس بطشه ، وترتعد له الفرائص عند الحرب ، هو عودة أبو تايه »

ومن الشعراء الداحين سالم المرعي وعلى القزيبي وغيرهم ، وأنا أعرف من الشعراء الأحياء الذين يجيدون قرض الشعر البدوى في شتى الأحوال ومختلف الظروف : محمد بن هلال ، وسعود المجالي في الكرك . وقد يكون غير هؤلاء في مضارب البدو في الشمال وفي الداخل ، لكن دراسة هذا النوع من الشعر دراسة عميقة ، وتدوين هذه الأشعار قبل أن تعبث بها أيدي البلى يحتاج الى مشقة كبيرة من تنقل بين مضاربهم وتعرف الى أماكنهم وأحوالهم ، وطرق عيشهم

(١) اعتمدنا في ذلك على كتاب (خمسة أعوام في شرق الأردن) للمطران بولس سلمان

(١) هو عودة أبو تايه شيخ قبيلة الحويطات الأردنية ، رافق الأمير فيصل في الثورة ، وأتى من الفروسية المدهشة بالعجاب مما حدا لورنس الى تخليده في كتابه « عواميد الحكمة السبعة » ملقباً إياه بروبنهد البدو « The Bedouin Ropinhood »

ولقد فاتنى أن أذكر أن الشيخ رشيد زيد الذى مرّ ذكره مع طبقة الشعراء المجيدين فى الفصحى ، ليحسن نظم الشعر البدوى . وقد أتيح لى أن أسمع له قصائد رائعة ، وعالية النفَس فى هذا النوع من الشعر ، يعارض فى بعضها قصائد مشهورة كاليتيمة وغيرها

والخلاصة أن الحياة الأدبية فى شرق الأردن ضئيلة ضعيفة اذا ما قورنت بغيرها من الأقطار العربية ، على أن سيرها فى مضامير النشوء والتطور على هذا الشكل المدهش ليدعو الى التفاؤل الشديد . وأنا لا أشك فى أنه سيأتى يوم تصبح فيه شرق الأردن بفضل هـذه العوامل المختلفة التى بسطناها ، وبفضل غيرها ، حية بأدبها ، وغنية بأدبائها . ولا بد قبل الختام من الاعتراف بما لقصر رغدان من فضل كبير فى تنشيط هذه الحياة الأدبية ؛ فقد كان ولا يزال يحدب على الأدب ، ويؤازر الأدباء ، ويشرق على نفوس الشباب بالنور والحياة

(بيروت — الجامعة الأمريكية) جريس القسوس

٦٠٥٦

بعد احتلال أديس أبابا

فضيحة القرن العشرين !

[قطعة مهداة إلى جلالة الأمبراطور العظيم « نزيل فلسطين »]

للأستاذ على الطنطاوى

... حق صريح يصان فى عصور الظلام ، وأمة آمنة تسلم فى قرون الجهل ، أفيُعبث بهذا الحق فى القرن العشرين ، قرن العلم والنور ... ويُعتدى فيه على هذه الأمة ، فتُسرق أرضها وحريتها وسعادتها ؟

يا لفضيحة القرن العشرين ! ... يا لضيعة المبادئ الانسانية ! يا لخيبة العلماء والأدباء والأحرار ! .. يا لافلاس الحضارة الغربية .. يا للعار على الفكر البشرى !

أتبنى المدارس ، وتفتح المعاهد ، وتنشأ المحاكم ، لتبث مبادئ الحق والخير والفضيلة ، وتعمل على ذلك دهوراً ، فيأتى طاغية من طغاة الغرب فيهدمها كلها بطلقة واحدة من مدافعه ، وترجع بالعالم إلى الوراء عشرين قرناً ، ولا يجد من يأخذ على يده ، وينصف الانسانية منه ؟

أيهزأ طاغية روما بكل المبادئ التى يقدسها البشر ، ويدوسها بقدميه وأقدام جنوده ، ويستعبد أمة بكاملها لم تستعبد منذ فجر التاريخ ؛ ثم يمضى هؤلاء (الممثلون) فى طريقهم إلى (مسرح جنيف) ليمثلوا عليه بقية المهزلة ... هذه المهزلة الدامية التى كان أول ضحاياها عظمة الفكر البشرى ، وجمال الحضارة الحاضرة ، ومبادئ جمعية الأمم ؟

ارجعوا يا هؤلاء ، ارجعوا إلى بلادكم ، قد تمزق الستار وبدت من خلاله الوجوه المصطنعة واللحى المستعارة والسيوف الخشبية ؛ ورأى الثقلان أن (جبار جنيف) لم يكن إلا صنما من أعواد ، أقامه الأقوياء ليخدعوا به عباد الأصنام من الأمم الضعيفة ، عن حريتها وحقها ومالها

ارجعوا فأظهروا أنيابكم التى سترتموها ، وأظافركم التى أخفيتموها ... ما أنتم أيضاً إلا ذئاب

* * *

أما أنت أيها الأمبراطور الحبشى العظيم ، أيها الجندى المجاهد الشريف ، فتعزّ واصبر وارتقب ، فليس مع خصمك إلا الحديد والنار ، ولكن العالم كله معك ، والقلوب كلها تخفق بحبك ، وبغض عدوك . إن الحبّ والبغض هما أقوى سلاح فى الوجود ، وانهما إذا لم يقوما اليوم للمدفع والطيارة ، فلن يقوم لهما غدا طيارة ولا مدفع ، وإن خصمك يستطيع اليوم أن يخطب فيصيح ويفخر ويهدّد ، ويستطيع أن يجرّد الجيوش ، ويسير الأساطيل ، ويطلق المدافع ؛ ولكنه لا يستطيع أن يصنع المسمار الذى يسمر به الفلك ، فيقفه عن الدوران ، ولو جمع له كل حديد الأرض . إن الفلك يدور أبدا ، فيقوى الضعيف ، ويضعف القوى ، ويشب الطفل ، ويهرم الشاب ، ويرتفع من كان فى الحضيض ، ويهبط من كان فى الأوج ؛ فاصبر وارتقب

إنك لم تجبن ولم تفرّ ، وقد أعذرت إلى أمتك ونفسك وإلى التاريخ ، فما ألوت فى الجهاد جهداً ، ولا ادخرت عنه أيداً ، وكأنى أنظر اليك الآن وقد فى كنت دارة عرشك ، وقرارة

ملكك ، وموطن شعبك ؛ وكنت آمناً مطمئناً ، تتعهد بلادك بالاصلاح ، وأمتك بالتهذيب والتعليم ، فما راعك إلا صوت الصريخ تدوى به أروقة القصر ، فهببت مذعوراً — وما كنت بالذى يذعر أو يضطرب — واستخبرت الخبر ، فعلمت أنه الموت قد حمله المتمدنون إلى بلادك ألواناً ، نخففت إلى هؤلاء المتمدين تسألهم ماذا يريدون ؟

— قالوا : نريد بلادك فاخرج منها ، أو فابق فيها عبداً لنا وخادماً !

— قلت : وأى ثأر لكم عندى ، وأى عداوة بينى وبينكم ؟ أهى أن جاء قوم منكم منذ حين يريدون قتلنا ، فرددناهم عنا ؟ أليس لنا أن ندافع عن أنفسنا ؟

— قالوا : صه ! أنت متوحش .... أنت متأخر .... وقد جئنا لنعلمك ونعلم شعبك ، ونحمل اليهم حضارتنا ومدنيتنا ، فاذا أنت لم تسمع وتطع كلمناك بلسان البارود والغاز الخانق والنار والحديد .....

فثار فى عروقك الدم العزيز الذى لم يذلّ منذ ألفى سنة ، فأهبت بجمعية الأمم ، وناديت حماة السلام . فلما لم تجد منهم مجيباً ، صرخت فى شعبك أن خذوا السلاح وتأهبوا للموت ، فان فى الديار لصوصاً متمدنين ، من أحفاد كافور وغاريبالدى ودانتى ورفائيل . . . يريدون أن يسرقوا حياتكم وحريتكم وبلادكم !

فهبوا للنضال . . . ولكنهم سقطوا شهداء ، أمام وحشية المدنية ، وجهالة العلم ، وذئبية الانسان !

* * *

لا ! إنك لم تنهزم ولم تغلب ، ولكن غلبت المبادىء يا أيها الأمبراطور العظيم ، وانهزمت الفضيلة ، وديس الحق ، وأفلست مدنية القرن العشرين !

إنك لم تنهزم ، وإن الطليان لم يمتلكوا أرض الحبشة ، لأن العصر عصر الأمم لا عصر الملوك ، وقد استسلمت أنت مرغماً للقضاء ، ولكن استسلامك للقضاء ، وتركك أرضك للأعداء ، لا يسلم أمتك إلى الفناء . إن هذا الشعب الذى عاش حراً عشرين قرناً ، لا يستسيغ الاستعباد فى عشرين شهراً ، ولا فى عشرين سنة ، وإنه سيجاهد ويناضل ويقاوم ويقاتل ، ما بقى فيه شخص واحد يمشى على أرض الحبشة ، ويسمع صراخ الأجداد من أعماق الثرى . . . وأعالى السماء . . . تدعوه إلى إنقاذ رفاتهم من نعل الأجنبى الغاصب أن يطأها ويعبث بها ؛ وإن الغالبين قد يملكون اليوم الدساكر والقرى ، وينشئون القلاع والحصون ، ولكنهم لن يمتلكوا القلوب ، ولن ينشئوا فيها الحب ، وها هى ذى طرابلس ، بل هذه هى الأندلس :

ألم تسمع أيها الأمبراطور باسم الملك الطريد أبى عبد الله الصغير ، ذلك الذى كان ملك الأندلس ، وسيد غرناطة ، وصاحب الحمراء ، سليل الملوك الذين جعلوا الأندلس جنة الدنيا ، ومدرسة العالم ، ومشرق أنوار الحضارة ؟ لقد خدعوه كما خدعوك ، فأعطوه العهود والمواثيق ، وأقسم عليها ملوكهم وسادتهم ، وشهد بها أعاظمهم وأشرافهم ، وصدق عليها البابا أمين دينهم وسيدهم على أن يدعوا له قصوره ودوره وأمواله وجواهره ، وحكمه وسيادته ، وعلى أن يتركوا قومه أحراراً فى عباداتهم وبيوتهم ومعاملاتهم وتجاراتهم ، وأن يكفلوا لهم راحتهم وهناءتهم وأموالهم وأمتعتهم ؛ فلما ملكوا أخرجوا الملك من أرضه وبلاده ، فرأى لآخر مرة شرف الحمراء ، وجنان العريف ، وجبل شلير ، ثم مضى تتغلغل به السفينة فى أمواج البحر ، وصورة الأندلس تنأى وتبتعد ، حتى توارت وراء الأفق ، فخرجت من حيز الواقع لتدخل فى حيز الذكرى ، ولتكون أمنية فى نفس كل مسلم ، يوصى بها السلف الخلف ، ويأخذ منه العهد على استرجاع « الفردوس الاسلامى المفقود » ، وعمدوا إلى مسلمى الأندلس ، فأخذوا مساجدهم ، وأحرقوا مكاتبهم ، وفيها ثمرة العقول البشرية منذ مطلع التاريخ إلى ذلك العهد ، ليتاهوا بلهيبها فى ليالى انتصارهم ، وأنشأوا لهم محاكم التفتيش لتدخلهم فى النصرانية قسراً ، وتحرقهم أحياء ، وتعذبهم عذاباً لا يتخيله إنسان . . .

وها هم أولاء الأندلسيون بعد أربعمائة وخمسين سنة ، وبعد احتمال أهوال لا يحتملها بشر ، وبعد أن تنصروا جميعاً ، لا يزالون ذاكرين عربيتهم معتزين بها ، ولا يزالون يحاولون الرجوع إلى الأم العربية الكبرى ؟

أفتلين الحبشة التى لم تزل عزيزة ، وتندمج فى الطليان فى أيام معدودات ؟

* * *

سأجيء هذي الدار

للأستاذ فخري أبو السعود

البدر فضَّ غياهب الديجور ... وأذابَ لجة بحره المسجور
أضفى على وادى المنية روعةً ... من صَوْبِ ضوء سال كالبلُّور
فازدادت الأجداث فيه مهابة ... لما انجابتْ في نوره المنشور
قرّتْ ، وقرّتْ سامقاتٌ حولها ... عُطِّلْنَ من نَسَم وسَجْعِ طيور
فكأنها في صمتها ومُثولها ... أشباحُ وادٍ نازحٍ مسحور
وأوى الظلامُ إلى خرائب منزل ... خلف القبور مهدَّم مهجور
مُقْوٍ من الأحياء والموْتَى فلا ... هو في القبور يُرَى ولا في الدور
وأتيتُ متّئِدَ الخُطَى متأنياً ... أنسَلُّ بين حفائرٍ وقبور
أجتازُ في وادي المنون مُطَهَّرًا ... للنفس فيــه أيَّما تطهير
متذكّرًا فيــه وكم مِنْ عبرة ... لمنِ ابتغى فيــه ومن تذكير
حيثُ الصعيدُ جماجمٌ ومعاصمٌ ... وجباهُ صُــيَّابٍ وأعينُ حُور
حيثُ انطوتْ سِيَرٌ خَوالٍ وانتهتْ ... أشغالُ أجيالٍ وحربُ عصور
وخَبَتْ معاركُ لم يكفكفْها سوى ... حملاتِ جيش للحِمام مغير
وخبا ضِرامُ محبّــةٍ وعداوةٍ ... وهمومُ أفئــدة وداءُ صدور
أستخبرُ الأجداثَ عما استُودعَتْ ... من كلِّ منخوبٍ بها منخور
ماذا صنعن بفاتنٍ ومنعَّمٍ ... وجليلِ شَيْبٍ جاءها وصغير ؟
كم غَيَّبَتْ من كان مَطمحَ مُهجةٍ ... ومناطَ آمالٍ وعَقْــدَ أمور
طوت الأليفَ فإذْ بكاهُ إلفُهُ ... ثنَّتْ برَبِّ المدمع المنثور
سأجيء هذى الدّار يوماً لاحقاً ... مَن غادروا بالقلب برْحَ سعير
ومُخَلِّفاً بعدي حزيناً موجَعًا ... يبكي بدمعٍ للفراق غزير
يبكي وما عبراتُه في أوْبتي ... بالشافعاتِ ولا الرَّدَى بعذير
وتقَرُّ في تلك الغيابة أعظُمي ... مِن بعْدِ كَدٍّ دائبٍ مكرور
يَسْلُو بها قلبي قديمَ مآربٍ ... كانت وينزع عن أسى وحبور
غفلانَ عن سالٍ لذكرى جامدٍ ... أوْ جائدٍ بفؤاده المفطور
ويُطِل ذاك البدرُ فوق زاهياً ... يجلو سناه غياهبَ الديجور

فخري أبو السعود

أجل أيها الأمبراطور ! إن الحبشة لم تنهزم ، ولكن انهزمت جمعية الأمم ، وذبحت مبادئها في الحبشة ، كما انهزمت الحضارة ومحيت أعلامها في الأندلس !

إن جمعية الأمم لم تكن أوثق عهداً من البابا ، وإن موسوليني لم يكن أرق من فرديناند ، وإن الطليان ليسوا خيراً من الاسبان ، وإن القرن الخامس عشر ليس شراً من القرن العشرين . . .

* * *

أما أنتم يا كتاب التاريخ فسجلوا :

« لقد كانت حادثة الحبشة فضيحة القرن العشرين ! »

(دمشق) **علي الطنطاوي**

نشيد الأستاذ محمد فضل إسماعيل

وهو الرابع الذي نال إحدى الجوائز

مهّدُوا للمُلْكِ أبْرَاجَ السَّماءْ ... وارفعوا في ساحة المَجْدِ اللِّوَاءْ
واسمَعُوا من جانب النيلِ النِّدَاءْ ... مصرُ للمصريِّ قلبٌ وجَنَانْ
نحن أبناء الأُولَى ... طاوَلوا مُلْكَ الشُّهُبْ
قد خطَوْنَا للعُلاَ ... فوق أعناقِ الحِقَبْ

مجدُها باقٍ على مَرِّ الدهورْ ... خلَّدَتْه في حناياها العصورْ
في جلالٍ ناطقٍ بين الصُّخورْ ... حيَّرَ الدنيا على مَرِّ الزمانْ
نحن أبناء الأُولَى ... .

لا نَهابُ الموتَ فانظر يا قدَرْ ... كيف لا نهتزُّ يوماً للغِيَرْ
نحن شعبٌ مِلْءُ واديه الخطَرْ ... خاضَ للعَلْيَاءِ لُجَّ الغَمْغَمانْ
نحن أبناء الأُولَى ... .

قد تآلفْنا على حبِّ البلادْ ... فانطلقْنا في ميادينِ الجهادْ
نُشْهِدُ الأرَضِينَ والسَّبعَ الشِّدادْ ... أنَّ للأهرامِ عِزًّا لا يُهانْ
نحن أبناء الأُولَى ... .

دينُنا في مصرَ موْفورُ الجلالْ ... ليس معناه صليبٌ أو هلالْ
إنما معناه مُتْ يومَ النِّضالْ ... بئسَ مَنْ يَحْيَا كما يَحْيَا الجبانْ
نحن أبناء الأُولَى ... طاوَلوا مُلْكَ الشُّهُبْ
قد خطَوْنا للعُلاَ ... فوق أعناق الحِقَبْ

صوتَ مَنْفِيسٍ يُدَوِّى كالرُّعودْ   هيِّئوا للنيلِ مجدًا فى الخلود
فابتَنَيْنا مثلَ بُنْيانِ الجُدُودْ   كَعْبةً للنُّبلِ فى أعلَى مكانْ
نحن أبناءُ الأُولَى .....

فاجرِ يا نيلُ بواديكَ الأمينْ   إنَّهُ وحْىٌ منَ السِّحْرِ المبينْ
تاجُهُ فى الدَّهْرِ وضَّاحُ الجبينْ   ينحَنى فى جانبيه النَّيِّرانْ
نحن أبناءُ الأُولَى ....

واسقِنا يا نيلُ من نَبْعِ الحياهْ   أنتَ للأوطان جاهٌ أىُّ جاهْ
يَسْتَمِيتُ الشَّعْبُ حُبًّا فى عُلاهْ   من شبابٍ أو كهولٍ أو حِسانْ
نحن أبناءُ الأُولَى ....

حولكَ الغُرُّ المَيامِينُ السِّماحْ   يدفعونَ الضيمَ من كلِّ النَّوَاحْ
فاجرِ يا نيلُ وفِضْ بين البِطاحْ   أنتَ والكوثرُ فيها توأمانْ
نحن أبناءُ الأُولَى ....

قد وقَفْنا فى ثباتٍ كالجبالْ   فى صُفُوفٍ صَدْعُها صَعْبُ المنالْ
صوتُنا يَمْلأُ آذانَ الليالْ   مصرُ للمصرىِّ عاشتْ فى أمانْ

نشيد الأستاذ محمد الأسمر

هيَّا بنا إلى الأمامْ   هيا بنا هيا بنا
المجد فى الدنيا زحامْ   فزاحموا نحو المنى
واسعَوْا إلى خير الوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن   يحيا الملك . يحيا الوطن

نحن الحياةُ للبلادْ   ونحن فى مصرَ العلَمْ
إذا دعا داعى الجهادْ   كنا بها أسد الأجَمْ
نذود عن أرض الوطنْ
يحيا الملك . يحيا الوطن   يحيا الملكُ . يحيا الوطن

يا مصر يا كنز الوجود   نحن على الكنز أسودْ
ونحن أمثالُ الجدود   نفنى ونعطيك الخلودْ
يا مصر يا خير وطن
يحيا الملك . يحيا الوطن   يحيا الملك . يحيا الوطن

هيا بنا إلى الأمام   هيا إلى الذكر الحسن
فنحن من بين الأنام   تاجٌ على رأس الزمن
ونحن روح للوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن   يحيا الملك . يحيا الوطن

هيا بنا ، هيا بنا   نبنى الخلود والبقاء
نبنى ونرفع البنا
المجد فى الدنيا لنا   لما بنى الله السماء
بنى لنا مجد الوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن   يحيا الملك . يحيا الوطن

منظر النيل الأزرق

فى بعض بلاد السودان

للأستاذ عبد الله عبد الرحمن

أىّ حسن تراه لم يحرز النيـ   ـل وأى الجمال إلاّ لديه
رفّ فيه النبات حتى كأنى   من وراء النبات أرنو إليه
وكأنّ المياه صفحة خدّ   وكأنّ الظلال شامٌ عليه
وكأن الدخان من جانب الـ   ـشطّ مشيب يلوح فى عارضيه
يتلقى الأديب منه قوافى الـ   ـشعر رقراقة على حافتيه

وعلى متنه كهارب قامت   تبهر الناظرين والليل قاتم
كسيوف مجردات على المـا   ء مواضٍ له من البرّ قائم

نازعتنى أقول فيه القوافى   نفس حر إلى الجمال نزوعه
فتمشيت والهواء عليـل   غير ما ناقل خطاى السريعه
وظلال الجميز والطلح والسد   ر ترامى على المروج الوسيعه
ووجوه النبات تحلو وتبدى   صوراً للحياة كانت بديعه
ليس أدعى إلى السرور كروض   خلعت حسنها عليه الطبيعه

فاذا ما دنا المغيب تدانت   من صنوف الطيور شبه الغمائم
رائحات إلى الوكور ولكن   هل تقيها الوكور كيد ابن آدم

(الخرطوم)   عبد الله عبد الرحمن

القصص

هــــواجس

بقــلم حبيب الزحلاوى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

أكثر ليالى الصيف فى مصر مقتطعة من فراديس النعيم لعشاق اللهو والاستمتاع يالله !! كم ليلة قضيناها على شواطىء النيل نستمتع بانسياب أمواهه الهادئة ، نشاهد مثاوى الأشباح تحت ظلال النخيل ، نراقب أنوار المدينة ونجوم السماء تتناقص وتنطفىء وتتلاشى على بساط الفجر وإشعاع الشمس

يالله ! كم ليلة سمعنا فيها أغانى أم كلثوم وصوتها العذب الحنون ! وكم أصغينا إلى نشيج محمد عبد الوهاب وأنغامه المسترخية المستلينة ، وكم لسنا فيها تفاعل الاغماء والتماوت ، لقد شهدنا على المسارح تمثيل القردة المقلدين واسترعى انتباهنا ممثل هزلى بارع ، إحساسه فى وجهه ، وعقله فى نظرات عينيه ، وبراعة فنه فى إيمآته وسكونه ، هو ذا نجيب الريحانى المطبوع على الفن

كم ليلة جسنا فيها حلقات الأدب ، ومجالس العلماء ، و(بمكوكة) الظرفاء ، وصالات المتأدبات ، لقد كانت الرغبات هى كل شىء فى عرف صديقتى أنيسة تدفعها إلى معرفة كل شىء ، وكانت تقول : « متى انقطعت الرغبات انقطع حبل الحياة معها ، وتجزم بأن من يتعمل قتل رغبات نفسه كان كمن يحاول الانتحار » كانت تعرف الرغبات الجوالة فى صدور الساسة « بأنها تقدير لما تحتاج إليه النفس الانسانية الكبيرة » وتقول : « لا خير فى جهود تبذل إذا كان رجل السياسة يعجز عن إدراك رغبات مواطنيه وحاجاتهم » وقالت عن المصريين : « إنهم كشعب ، يعرف جيداً كيف يفرح ويحقد ، ولكنه لا يعرف أبداً كيف يغضب وينتقم »

لقد قالت لى صديقتى عن مجالس النساء والرجال قولاً ظريفاً فيه مداعبة ومفاكهة ، ولذعات وسخرية قالت : « إنه قد يعسر عليها إيجاد رجل واحد خليق بأن يسمى رجلاً بين مائة ممن لقيتهم من الأدباء والعلماء والكتاب والسياسيين ، وإن المرأة المصرية ليست إلا أنثى » ، وكانت تضحك من الشبان المستكرشين والصبايا المترهلات وتقول : « إن الرياضة تعلم الشباب الاعتداد بالذات »

شيطان صديقتى شيطان ذكر ، نبت فى الشرق وتمرد فى أمريكا فصير صاحبته كعصير العنب المستقطر بالبيانسون فائدته فى قتله بالماء ، وهكذا متى عادت صديقتى إلى أمريكا سيتذوق الأمريكان خمرة معارفها ويستوعبون عمق وعيها وإدراكها وواسع اطلاعها ، وقد مزجت ثقافتها الأمريكية بروح شرقى خاصته الالهام والفيض

لقد عرفت نفسية صاحبتى تصغى إلى كل نأمة ، تستوعب الكلمة والغرض ، تلمح البادرة الخاطفة ، تدرك مرامى النكتة ، تقيد شوارد الفكرة وهمسات الفؤاد وسبحات الأحلام ، تسمع ولا تتكلم كغالب السوريين ، ولكنها متكلمة يطيب لها الحديث تحلل فيه ما سمعت وتنقد ما رأت ، على ضوء كأس من الوسكى « كناديان » وسيجارة أمريكانية لا تنطفىء من ماركة « لكى ستريك »

علقت الوسكى وأدمنت التدخين ، فكانت تصدنى عن الأول لو حاولت شرب كأس قبل الطعام ، ولا تسمح به إلا بعيد منتصف الليل ، لأنه يعاون الجسد على الاستغراق فى النوم ، وتستكثرنى من التدخين ، لأنه يجلى البصيرة على رقصات الدخان وتلاعب تموجاته

شهران من شهور الصيف كانت لياليهما لنا ريادة استكشفنا بها أشياء كثيرة ، منها أغانى الرمال وأنغامها فى الصحراء متى داعبها النسيم أو عصف الريح ، جثوم أبى الهول عند أقدام الأهرام ، هدير النيل فى الشلال وعظمته فى القناطر الخيرية ، فى غابات النخيل المتكاثفة فى كثبان الرمل ، وقد رأينا أشياء كثيرة فى النهار من معالم مصر كقبور الفراعنة ومخلفاتهم الباقية على الدهر ، والجوامع والأديرة والمدافن وسواها مما لم يحفزنى حافز من قبل الى مشاهدته

شهران كانا لى رياضة نفسية عجيبة كنت أتمرن فى خلالها

على الاستنباط من لوحة ذكريات الطفولة ، صوراً بريئة أعرضها على مجهر خيالي وقد استفاق على المعرفة ، والبحث عن المعلوم والمجهول . يا لله من اصطدام الطفولة البريئة بالرجولة المحنكة ، من قوة العقل تكبح جماح طفرة النفس ، من صعوبة سيادة الملكات الانسانية المكتسبة على نزوات الطبيعة الوحشية ، من همهمات ملائكة الضمير على وسوسة الشيطان الرجيم . . . . ! !

... ...

***

وقفت قبالة عربة القطار المقل لصديقتي أنيسة عبر حدود مصر وقفة مهموم وفتور ، بل وقفة الكلف الولوع المكتوى الفؤاد ، أخاف الفراق وأفرق منه لأني سأصبح مضطرب الخيال ، فريسة الوحشة ، يتيم الروح . ولما هم القطار متثاقلاً في حركته ، كان الألم المكبوت يوشك على الانفجار ، ولكنه تحول دموعاً انهمرت سخينة على يد صديقتي وقد قبلتها لأول وهلة

رفعت ذراعي ولوحت بها في الفضاء ، غير أن الصور اختلطت على وغاب القطار

من لي بمن يعبر عما كان يتجاوب في صدرها من حنان وحب ؟ من لي بمن يعبر عن نظراتها هل كان يغشاها طيف حزين ، أو هي فاترة ساهمة ؟ من لي بأفاك يضحك مني فأصدق تقوله إنها استسلمت للأسى والمرارة كما استسلمت أنا ، وأن أحلام سعادتها قد انتعشت من جديد كما انتعشت أحلام سعادتي بأمل ورجاء ؟ !

لا . . . . لم يعد بي حاجة الى متقول يضحك مني إرضاء لضعفي الطارىء المستحب ، لم تعد لي بالاستهواء الذاتي فائدة لأني قدرت ، بعد انقضاء أيام من الألم المضني ، أن البرزخ الفاصل بيننا متعذر العبور ، ولكن شيئاً جديداً أعاد إليّ رجائي ، أحيا فيّ أملي ، لقد أخذت كتب صديقتي تصلني تباعاً كل أسبوع ، في كل شهر ، فيها التوضيح والتبسيط لكل خلجات عواطف المرأة التي تعرف كيف تعبر عنها تعبيراً صحيحاً في حالة الانغماس فيها أو في حالة القدرة على وصفها بالكتابة ، أما الفصول القيمة التي كانت تنشرها في المجلة الأمريكية ففيها من التفصيل الدقيق لذاتية الأديب الفنان الذي يتخذ من المشاهدات الواقعية والذاتية ومن الخلجات العاطفية أداة للخلق والابتداع

صارت خطاباتها على مر السنين مصدر وحي لي فياض بخصائص الحياة وعناصر الرغبة فيها ، كنت أستلهم سطورها أدق المعاني وأبرع التصورات ، وأشعر بسحرها يغشاني فتشرق نفسي لأنه كان كنغمات بعيدة عميقة لصوت حالم طروب حملها الأثير من جوف وادي الظلام ! ! إلا أنه حدث ما لم أكن أتوقعه ، حدث أن جاءني كتاب منها تقول فيه أن أكف عن مراسلتها كما أنها ستنقطع عنها ريثما تعالج من مرض ألم بها في إحدى المصحات وتدعوني الى الصلاة لأجلها ، أو أبكيها بدمعة واحدة إذا استنزف الداء حيويتها ! !

عام طويل أجوف كأنه دهر من العدم حاق بي من كل جانب كنت فيه كالمشلول خولط في عقله ، لا هو من الأحياء فينفع ولا هو بميت فيدفن . أما الآن فحمداً لله ، فقد كتبت لي صديقتي تقول إنها استعادت عافيتها وبرئت من علتها فتخلصت أنا من التأرجح بين العدم والوجود ، وشفيت من تقلبات النفس وانفعالاتها العكسية . . .

وانتصب واقفاً وقال : لقد دعوتكم الليلة يا رفاق صباي وعشراء كهولتي لأفضي اليكم بما كان بي من هواجس ، وأعترف لكم اعتراف المثقل بالفرح ، فهيا نشرب كأساً من الشمبانيا تبرد اليد المتقدة الممسكة بقلبي منذ عام ، وقد أفلت من مقابضها اليوم

لم يتقدم واحد للشراب بل قال قائل : هل لمثلك وقد جاوزت الخمسين من عمرك أن يستغرقك الحب ويرديك في مهاويه ؟ وقال آخر : ليس ما كان بك هو الحب ، انما هو أنانية اشعلت نارها امرأة مكبوتة حساسة عاشت على الحنين الى الماضي في بيئة غريبة عنها . وقال الثالث : ان ما كان بك يا عزيزي هو حرمان أخرس حلت الفرحة الفاجئة عقلة لسانه فصرخ صرخة الوداع ! !

وقال الرابع : لقد أنطقتك الخمر بما كان يجب السكوت عليه ، وتبخرت اعترافاتك هذه نشوة سوف لا تلقاها بعد الآن .

وعاد الأول فقال : لقد كان الخيال البعيد يشعرك بالذكرى المفقودة فكنت تتعمد إثبات وجودها بكأس كنت تشربها في وقت معين ، وبسيجارة كانت تصور لك مرأى الماضي الضائع ، وتخيلات تلك الليالي الهاربة من أجواء أحلام الشعراء ، أما الليلة فقد بددت كل شيء ، بددت كنز وجدانك ، لأن رجل الحياة هو الذي يحب ويتعذب ويموت فلا يشتكي ولا يبكي ، وقال آخر وهو يلوح بيديه ويلوى عنقه وشفته : ما هو الحب ؟ أليس هو . . . أليس هو ؟ ؟ ؟

لا . لا يا أصدقائي ، ليس الأمر كما تتوهمون ، ليس الحب

الذهب الذى ساد فنون الرسم والنحت والتصوير جاعلاً من مظاهرها فناً مركزاً ينبو عن محاكاة الطبيعة كما تراها العين المجردة أو عدسة الكاميرا ، على حين أنه يجمع من الأشياء خصائصها الرئيسية التى توحى بالجزئيات والتفاصيل ، وتبعث مخيلة الرائى على استكمال ما أنقصته عمداً يد الفنن

ثم ساد هذا الذهب أيضاً فن الاخراج المسرحى فجمل من مظاهره المادية (وهى الأستار والملابس والاضاءة) ، ثم من مظاهره النفسية (وهى إلقاء الممثل وإشاراته) ، فناً يجنح الى البساطة الموحية الغنية ، ويميل الى التركيز بل يهوى أحياناً إلى مقاربة الفن الرمزى Le Symbolisme من حيث المغالاة فى التفسير بالرئيسيات عن الجزئيات والدقائق

وكانت هذه النقلة من جراء تقدم فن الفوتوغرافيا ثم فن السينما الذى جعل كل محاولة من جانب المخرج المسرحى فى نقل الطبيعة ومحاكاتها على المسرح ضرباً من السخف ولوناً من الهزل الفنى الذى يجب أن يترفع عن إتيانه كل متفنن يتأثر بروح العصر ومزاجه العام

وغالى بعض المخرجين فى توليد هـذا الذهب ، ولا سيما بعد أن نزلت بفن المسرح كارثته الأخيرة ، وكسبت السينما النصر فى استمالة الجمهور ، فجعلوا من المناظر المتعددة فى رواية واحدة منظراً واحـداً يشيد بحال يمكن المخرج من تمثيل كافة مشاهد الرواية فى أقسامه المختلفة مع إضاءة القسم الذى يجرى فيه تمثيل المشهد وإبقاء الأقسام الباقية فى الظلام ؛ هذا مع الاستعانة ببعض الأستار الجزئية أو الأثاث والمهمات ، حتى لا يتصدع ما يصح أن (تعقله) عين الجمهور la vraissemblance ، وحتى لا تصطدم مخيلة النظارة بما يخرج على المنطق الايحائى الذى هو الباعث الأساسى لشهوة الجمهور المثقف على تذوق هذه اللذة الفنية ، لذة الايحاء واستساغتها

وقد عمد المخرجون ، ولا سيا الانجليز منهم والألمان ، إلى هـذا الاتجاه الفنى ، وهو ليس بالفن الجديد لأنه عرف على حالة أولية فى مسارح القرون الوسطى بأوروبا وفى المسرح الانجليزى فى عهد شاكسبير والملكة اليصابات ؛ عمدوا إلى ذلك بعد أن أفلس المذهب الواقعى الذى عمدته Antoine فى فرنسا ، و Stanislavsky فى الروسيا ، فى محاولة إنقاذ المسرح بعد أن اكتسحته (الكاميرا) مستشمرين قصور ميكانيكية المسرح على تقدمها الأخير عن بلوغ الشأو الذى قطعه فن السينما فى إيراد مناظر لا حد لها ولا نهاية بأيسر الوسائل وأقل التكاليف

وأرادوا بهذا أيضاً ، وهو الصميم ، أن يقدموا للنظارة لذة ذهنية جديدة غير تلك التى يقـدمها فن السينما القائم على تعدد المناظر والعرض الواسع ومحاكاة الطبيعة فى أدق مظاهرها ، لذة أساسها التخيل واستثارة الخاطر وإشعار النظارة لذة التوليد مما هو مركز ، وجمال الكشف عما هو مغلق أو يكاد . وأصابوا التوفيق لدى الجمهور المثقف المشحوذ الخاطر ، ولا سيما الجمهور الانكليزى الذى يحمل فى آدابه تقاليد المسرح الشاكسبيرى

وقد أطلق المخرجون الفرنسيون على هذا النوع من المنظر المركز اسم Simultané

وليعـذرنى المستر ادواردز إذا أنا لم أسهب أكثر من ذلك لضيق المقام ، ولأن الأكثرية الغالبة من القراء لا يأبهون ولا يتذوقون الكلام فى هذه الفنون الغريبـة عن آدابهم القديمة والحديثة ، ولكننى أذكر له أننى قرأت ما كتبه المخرج الانجليزى الفقيه (جوردن كريج) ، والألمانى (رينهارت) ، والفرنسيان العبقريان (كوبو) و (جيميه) ، والأخير هو أستاذى فى مسرح الأوديون ، وقد شاهدت مآثرهم واتجاهاتهم الحديثة فى الروايات التى رأيتها فى لندن وبرلين وباريس

بعد هذا أعترف بأننى لم أعمد إلى المذهب الايحائى البالغ فيه simultané وهو المذهب الذى تبعته الفرقة الارلندية فى اخراج روايتى (هملت) و (روميو وجوليت) على مسرح الأوبرا ، لأننى أعلم ، وأنا مصرى وأعمل للمسرح منذ خمسة عشر عاماً ، أن الجمهور المصرى ، بحكم مزاجه العام ، لا يتذوق هذا الاتجاه الفنى ، بل ولا يستطيع أن يفهمه ، بل إنه ليرى فيه ضرباً مما يخالف المعقول ، وذلك بحكم أنه جمهور غير مثقف فى أغلبيته تثقيفاً فنياً كاملاً ، ولأنه جمهور (لاتينى) من حيث ثقافته

وإذا كان المخرجون الانكليز والألمان أكثروا من استعمال هذا الصنف من المناظر فلأن ثقافتهم من (الشمال) ، وثقافة (الشمال) يعلوها الضباب والسحاب ، وليس فيها وضوح الثقافة

اللاتينية التي قامت في بلاد البحر الأبيض المتوسط ، حيث وهج النهار يكشف عن دقائق المرئيات . وإذا كان الجمهور الانكليزي يرتاح إلى مشاهدة هذا النوع من الاخراج فلأنه جمهور شكسبير وجمهور المسرح الثابت الستار الذي تجرى في ساحته الواحدة معارك القتال ومعارك الغرام وغيرها ؛ ويكفي أن يرمز لكل منها بلوحة مكتوبة حتى يستقيم المنطق لدى النظارة وحتى ينزو كل خاطر من كمينه

وفوق هذا ، وعلى اعتبار أن الجمهور المصري يفهم ويستسيغ هذا النوع من الاخراج ، فانني ما كنت لأخرج رواية (السيد) وفاقا لما يراه المستر ادواردز ويعتبر أنه قطرة العطر المختارة في سائر وسائل الاخراج ، لأنها رواية من صميم الأدب الكلاسيكي ، ولأنها من الأدب اللاتيني القائم على الوضوح والبساطة ، ولأنها رواية أساسها (الكلم) le verbe لا العرض le spectacle ، والمستر ادواردز يعرف حق المعرفة أن المخرج الحق ، المخرج الذي لا يقدم الشيء الغريب ليعرف بالغرابة ، مقيد بروح الرواية وبنوعها الأدبي ، ومن هذا المصدر يستوحي الاتجاه الفني ويتخير وسائله في الاخراج ، ولا سيما فيما هو خاص بالاطار المادي الذي تبرز فيه الرواية la mise en scène picturale ، وأعني به فيما أعني مناظر الرواية وأستارها

إذن فليسمح لي المستر ادواردز بأن أقول إنه تسرع في حكمه قبل أن يتعرف ذوق الجمهور المصري ، وأنه من أولئك النفر من المخرجين الذين يريدون أن يجعلوا من فن الاخراج فناً قائماً بذاته لا يحفل بروح الرواية ولا يحترم إرادة مؤلفها ولا يأبه بمكانها من الاتجاهات الأدبية ؛ وإنني أربأ به عن هذا النفر ذي السمعة المعروفة ، وأقول ، محسناً الظن بنقده ، إنه أخذ عليّ في الاخراج وسيلة لا يميل اليها شخصياً

أما إنني خرجت على المذهب الايحائي البسيط الذي يستطيع أن يتذوقه الجمهور المصري ، والذي يماشي روح الرواية ، فأمر لا يقره الواقع ؛ فالمستر ادواردز قد شاهد بعينيه أنني ركزت على جانبي مقدمة المسرح عمودين من النمط الذي كان شائعاً في القرن الحادي عشر ، وهو عصر الرواية في اسبانيا L'art roman ، عمودين يجمع بينهما (قبو) لا يرى النظارة منه سوى بدايته فوق كل عمود ، على حين أنني لم أكمل الباقي وأسدلت ستاراً من الملاء يغطي ما تعمدت اخفاءه ، وذلك بقصد الايحاء ، عمودين لا يحملان في قطعهما وتصويرهما جزئيات الحقيقة ، بل يبدوان وعليهما أهم مميزات النمط ، وذلك نزولاً على مبدأ المذهب الايحائي الذي أنا أول من قدمه في مصر ، ولا سيما في روايتي (تاجر البندقية) و (أهل الكهف)

وبذلك أحييت الصبغة الزمنية والمحلية بأسهل الوسائل

كذلك عمدت الى الأستار المخملية ذات اللون الواحد لتمثيل حجرة ابنة الملك وحجرة (شيمان) ؛ ستاران أحدهما رمادي والآخر بني اللون ، يهبطان الواحد خلف الآخر وراء العمودين ، واستعنت بالأثاث للتنبيه على الايحاء في احياء الصبغة المحلية ، فكان أثاث حجرة شيمان من الفن الأسباني في القرن الحادي عشر ، وكان أثاث حجرة ابنة الملك من الفن العربي باعتبار أنها من الأسلاب التي غنمها الأسبان من العرب بعد أن أكرهوهم على الجلاء عن قصورهم

ثم كان المنظر الذي يمثل ساحة أو ربوة بجوار المدينة حيث يتبارز الكونت والدوق دياج ؛ هذا المنظر قد رسم وفاقاً لصميم المذهب الايحائي المتطرف ، بل لقد أمرت المصور الذي رسمه بألا يتبع قواعد المنظور في رسمه ؛ وكل هذا بقصد استثارة مخيلة النظارة ودفعهم إلى توليد لذة ذهنية تطالعهم بعد التفكير والامعان

ولكن حدث بعد ذلك أن شاهد المستر ادواردز منظر ساحة العرش في قصر الملك ، وهو منظر يمت بحق إلى (المذهب الواقعي) ويحطم بحق أيضاً الوحدة المسرحية Unité scènique التي يجب أن تسود سائر مناظر الرواية ، وكان أن صاح المستر ماك ليمور زميل المخرج الأرلندي النابه بأن المخرج قد أخطأ !!!

نعم لقد أخطأت ... ولكن ليس عن جهل بأيسر وبأولى قواعد فن الاخراج . وهنا أستطيع أن أروي ما قد يرسم ابتسامة الاشفاق على شفاه الزميلين العزيزين ...

المسألة وما فيها أن مصور المناظر لرواية (السيد) لم يتمكن من انجاز هذا المنظر في الوقت المناسب ، فاضطررت — أقول اضطررت — على الرغم مني ، وعلى الرغم مما يعمر رأسي من فنون الاخراج ، أن أستعير منظرا من مناظر دار الأوبرا الملكية

حتى لا يتأخر تمثيل الرواية ، وكان هذا الظرف المحرج الذى لم ينفع فيه علمى ، ويصح أن أقول للزميلين إن مناظر الأوبرا لم تعرف بعد المذهب الايحائى ؛ وقد ضحك منى رئيس الميكانيستية حينما وضعت ستار المؤخرة فى رواية (أهل الكهف) من القطيفة ، على حين أن بقية أجزاء المنظر كانت من الاطارات المرسومة الملونة

إذن ليعذرنى الزميلان ، وكان يجدر بهما — وهذا ما آخذه عليهما — أن يتريثا فى الحكم على زميل ، وألا يصدرا هذا الحكم بعد مشاهدة رواية واحدة خذلت برغمى فى الاحتفاظ بوحدتها المسرحية

وليعذرنى أيضاً الزميلان إذ أن مصورى المناظر فى مصر — ومن بينهم الأجانب — لا يعرفون شيئاً عن المذهب الايحائى ولم يسمعوا بعد عن سائر الاتجاهات الحديثة من symbolique و expressionniste, و Cubiste ، وإننى أجاهد معهم متعبا و ...

وإن البعض من الممثلين بل والنقاد ، عدوا المناظر التى قدمتها فى رواية تاجر البندقية وكلها ايحائية محضة ، نوعاً من التمرين الأولى فى فن التصوير والرسم مما يقدمه طالب بالمدارس الأولية

الإضاءة

يقول المستر ادواردز « إننى لم أقصد من الاضاءة إلا أن أكشف المناظر والممثلين للنظارة ، وإننى لم أستخدم الاضاءة لغرض أو فكرة خاصة إلا فى موقف واحد فقط بين (السيد) وحبيبته » ومجمل هذا الاتهام يناقض بعضه بعضاً ، فهو يعترف أننى استخدمت الاضاءة لفكرة وغرض فى أحد المواقف ، ولكننى أهملتها فى مواقف أخرى ، أعنى أنه يعترف بانى أدرى أن الاضاءة المسرحية ليس الغرض منها فقط انارة المناظر والممثلين بل احياء الصبغة النفسية لأهم عاطفة تجتاح المشهد ، هذا مع خضوعها للمعقول وما يحتمه الزمان والمكان . وتكفينى هذه الشهادة ، وبرفه عنى هذا التناقض ، لأن من يعلم أن ١ + ١ = ٢ لا يرجع فيعطى نتيجة غير هذه ! ! ! . يعلم المستر ادواردز وقد شاهد الرواية — ولا أعرف ما إذا كان قرأها — أن كافة المناظر تجرى فى رابعة النهار ماعدا مشهدين أولهما فى وسط الليل وثانيهما — وهو الذى أشار اليه — فى أول هبوطه ، وقد اعترف بدقة الاضاءة فيه ماذا كان يريدنى أن أعمل للاضاءة المطلوبة فى باقى مناظر الرواية ، وكلها تجرى فى النهار ، أكثر من الانارة التامة للمسرح ؛ ثم غمر الأقسام الرئيسية التى يجرى فيها أهم مشاهد المنظر بأشعة ناصعة تصبها مركزات للنور (بروجكتور) على جانبى المسرح ، وذلك بقصد اجتذاب أنظار الجمهور إلى أهم النقط التى يجرى فيها التمثيل !!!

أقول للمستر ادواردز إننى من المعجبين بتصوير المصور رامبراند Ramprandt وأعرف أننا معشر المخرجين الحديثين نستقى من طريقته فى توزيع النور فى لوحاته الخالدة ، نستوحى أساليبنا فى اضاءة المسرح ، وفى هذا ما يكفى ليعلم أننى أعتقد فى الاضاءة المسرحية وأراها مصدراً غنياً فى الالهام يستوحى منه المخرج ، وأن الاضاءة المسرحية قد أخذت مكان المناظر فى إحياء الصبغة النفسية ، بل والمكانية أحياناً

بعد هذا أصرح أن ما قرأته فى (الرسالة) عن لسان المستر إدواردز لا يخلو من قسوة ومن تحرج لا أظن أن نفسية مفتن من طرازه تنطوى عليهما ! !

ولكن أحقاً قال ذلك المستر إدواردز وزميله ؟ أم أن ناقل الحديث هو الذى قسا وتحرج ! ! !

لا يهمنى كثيراً . . . وأشكر لصاحبى الحديث ولناقله هذه الفرصة الغالية التى أتاحت لى أن أناقش وأحاور فى فن أحبه كثيراً ، وأود أن أتلمس مواطن الضعف منى فى تأدية رسالته

زكى طليمات

خريج مسرح الأوديون بباريس
وعضو جمعية المسارح الدولية

أؤكد للأستاذ زكى أنى كنت أميناً فى نقل الحديث بما فيه من رقة وقسوة

يوسف تادرس

البريد الأدبي

زجموند فرويد أيضاً[1]

قرأنا فى الصحف النمسوية الأخيرة طائفة من البحوث والنبذ الممتعة عن العلامة النمسوى الكبير زجموند فرويد، فهو اليوم فى الثمانين من عمره، وقد احتفلت الدوائر الرسمية والعلمية النمسوية بهذه المناسبة العلمية، وأقيمت للعلامة الشيخ عدة حفلات تكريمية، وحفلت الصحف النمسوية، وصحف العالم كلها بمختلف البحوث والمقالات عن حياته وعن مباحثه ونظرياته. وقد غدا فرويد منذ بعيد أستاذا ومفكرا عالياً يوجه بجهوده وبحوثه سير العلوم والمباحث النفسية والعصبية فى العالم كله، وهو يعتبر اليوم إمام هذا الفن وحجته؛ ومن الصعب أن نتحدث عن حياة فرويد ومباحثه فى مثل هذا المقام الضيق؛ وإنما نذكر بهذه المناسبة عنه نبذة خبرية فقط هى التى يتسع لها هذا المقام

فقد ولد فرويد من أبوين يهوديين فى مايو سنة ١٨٥٦، فى فريبورج من أعمال مورافيا النمسوية، ودرس فى فينا وباريس؛ ودرس القانون أولاً، ولكنه تحول عنه إلى العلوم الطبيعية، ودرس على الأستاذ «بريكه» علامة عصره؛ واشتغل فى سنة ١٨٨٤ طبيباً مساعدا فى أحد المستشفيات الكبرى، وفى العام التالى درس مع الأستاذ شاركو العلامة الفرنسى فى علم الأعصاب، وتلقى عنه بعض نظرياته فى «الهستريا»؛ ثم عاد إلى فينا وبدأ مباحثه النفسية. وفى سنة ١٨٩٥ أخرج فرويد مع الأستاذ برور ثمرة مباحثه الأولى فى كتاب عنوانه «مباحث عن الهستريا» Studien ueber Hysterie وفيه يشرح آراءه فى أصل الهستريا وفى علاجها؛ واستمر فرويد فى مباحثه النفسية والعصبية، وطلع على العالم فى هذا الباب بآراء ومباحث مدهشة تمتاز بقوتها ومتانتها العلمية؛ وفى سنة ١٩٠٠ نشر كتابه الشهير «تفسير الأحلام» Die Traumdeutung؛ ثم أعقبه بكتابه «التحليل النفسى والباتولوجى للحياة اليومية» Psyeho-pathologie des Alltagslebens؛ ثم بكتاب «ثلاثة مباحث عن النظرية الجنسية» Drie Abhandlungen Zur Sexueltheorie. وقد فتح فرويد بكتابه عن الأحلام فتحاً جديداً مدهشاً؛ وخلاصة نظريته أن تفسير الأحلام عامل هام فى التحليل النفسى، وأن الأجزاء التى يتذكرها الذهن من الأحلام، انما هى اعراض لنشاط العقل الباطن أثناء النوم، حينما تفقد الارادة تأثيرها، ويقف سير الضابط الحسى. وقد أثار فرويد بادئ بدء بنظرياته ولا سيما فى باب التحليل النفسى والباتولوجى كثيراً من الخصومات العلمية، بل أثار سخرية بعض الدوائر؛ ولكنه صمد لهذه الخصومات، وصمدت نظرياته وبحوثه للحملات والآراء الخصيمة.

ومن أشهر نظريات فرويد أيضاً أن الغريزة الجنسية تبدأ فى الانسان بمولده، وليس فقط عند البلوغ؛ وأن ما يعانيه الطفل من خلل فى نموه الجنسى هو سبب الضعف العقلى، وأن النزعات الجنسية يمكن اخضاعها بشىء من التوجيه الحسن، وقد تغدو عندئذ قوى تبعث إلى أشرف النزعات

وفى سنة ١٩٠٣ أنشأ فرويد «جمعية التحليل النفسى» فى فينا، ولم يمض بعيد حتى ذاعت فروعها فى جميع أوربا؛ وعقد أول مؤتمر دولى للمباحث النفسية فى سالزبورج فى سنة ١٩٠٨ ومنذ بدء هذا القرن يشتد نفوذ فرويد ونفوذ نظرياته ومباحثه فى جميع أنحاء العالم

ويشغل فرويد منذ حقبة طويلة كرسى «العلوم العصبية» فى جامعة فينا إلى يومنا

ونستطيع أن نلاحظ بهذه المناسبة أن التفكير اليهودى ما زال يحدث أثره القوى فى سير التفكير العالى؛ فاذا كان فرويد يقبض على ناصية التفكير النفسى، فان الفيلسوف الفرنسى برجسون (وهو يهودى أيضاً) يقبض على ناصية التفكير الفلسفى، ويوجه العلامة اينشتاين سير المباحث الرياضية العالمية؛ وإذا تتبعنا تاريخ التفكير الحديث وجدنا لليهودية مثل هذا الأثر البعيد فى سيره وفى تطوره

(١) انظر البريد الأدبى فى العدد ١٤٩ من الرسالة

الأستاذ هنري روبير

نعت الينا الأنباء الأخيرة علماً من أعلام الكتابة والبيان الرائع هو الأستاذ هنرى روبير المحامى الفرنسى الأشهر ، وعضو الأكاديمية الفرنسية ، توفى فى الثالثة والسبعين من عمره بعد حياة باهرة فى عالمى المحاماة والأدب . وكان مولده سنة ١٨٦٣ فى باريس ، حيث تلقى تربيته ودراسته ؛ وفى سنة ١٨٨٥ قيد فى جدول المحاماة ، وبدأ حياته العملية ، ولم يلبث أن لفت اليه الأنظار بحسن استعداده وكفايته ؛ وقدر الأستاذ دوربيه نقيب المحامين يومئذ مواهبه وألحقه بمكتبه ، فلقى هنالك فرصة لدراسة القضايا الكبرى ؛ وظهر لأول مرة فى قضية « شامبيج » الشهيرة أمام محكمة الجزائر ، حيث اشترك مع استاذه دوربيه فى الدفاع عن « شامبيج » المتهم بقتل خليلته ؛ وكان دفاعه الرائع فى تلك القضية مثار الاعجاب من كل صوب ، وكان فاتحة مجده ؛ وأوحت حوادث هذه القضية الشهيرة إلى الكاتب الشهير بول بورجيه موضوع قصته « التلميذ » ، ومن ذلك الحين توالى ظهور هنرى روبير فى كثير من القضايا الجنائية الرنانة التى شغلت الرأى العام فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر

وتبوأ هنرى روبير مقامه الرفيع كعلم من أعلام البيان والفصاحة القضائية بسرعة ؛ وفى سنة ١٩١٣ انتخب نقيباً للمحامين فى دائرة باريس مكان الأستاذ لابورى ، وظل فى هذا المنصب حتى سنة ١٩١٩ ؛ وما زال محتفظاً بزعامته ومكانته الرفيعة فى عالم المحاماة والدفاع حتى خاتمة حياته

وكان الأستاذ هنرى روبير إلى جانب مواهبه القضائية والدفاعية كاتباً عظيما ، يمتاز أسلوبه بقوة وصفاء رائعين . ومن مؤلفاته رسالة قيمة ساحرة عن « المحامى » ، وكتاب « قضايا التاريخ العظمى » الذى بدأه فى سنة ١٩٢٣ ، وظل يعمل فيه حتى العام الماضى ، حيث صدر منه الجزء العاشر ؛ وفى هذه الأجزاء العشرة يعالج هنرى روبير طائفة من قضايا التاريخ الكبرى ، ولا سيما ما تعلق منها بالتاريخ الفرنسى ؛ ويعرضها بأسلوب بديع ساحر ، يجمع بين دقة الشرح القضائى ، وروعة البيان الأدبى

وفى سنة ١٩٢٣ انتخب هنرى روبير عضوا بالأكاديمية الفرنسية فى الكرسى الذى خلا بوفاة الوزير ريبو

وكان هنرى روبير محامياً عظيما يمتاز بصفات باهرة ؛ فقد كان عالماً نفسياً ينفذ أحياناً إلى أعماق السرائر ؛ وكان خطيباً رائعاً يبهر بيانه ؛ وكانت مرافعاته فى القضايا الكبرى أياماً مشهودة فى ساحات القضاء . وقد بلغ الذروة فى أواخر حياته من قوة التأثير والسحر ، حتى كان المحلفون فى بعض الدوائر يخشون تأثيره ، ويقاومون هذا التأثير بشىء من عدم الثقة . وكان هنرى روبير موجزا فى العادة خلافا لكثير من زملائه الأعلام ، ولكنه كان فى ايجازه دائماً قوياً مؤثراً

توفيق الحكيم فى الفرنسية

نقل الأستاذان (ا . خضرى) و (موريك برن) إلى الفرنسية رواية شهرزاد للأستاذ توفيق الحكيم ثم طبعاها ونشراها فى باريس . وقد حافظا على روحها الشعرى الشرقى حتى سمياها « قصيدة درامية فى سبعة مناظر » وقد صدرها بمقدمة بليغة الكاتب الفرنسى الكبير (جورج لوكنت) أحد أعضاء الأكاديمية الفرنسية حلل فيها الفكرة التى قامت عليها الرواية ثم قال : « كان لا بد من شاعر يُقدِم على معالجة إحدى درامتى[1] الانسانية العظيمتين فى مثل هذا الاطار الضيق . ولكن كان لا بد من شاعر شرقى رقيق الحس خصب القريحة كالأستاذ توفيق الحكيم يحل العقدة فى مثل هذا العمل بلباقة من الفن العربى البارع الذى ينال دائماً ذهننا الديكارتى بالدهشة قبل أن يرميه بالفتنة

« وكيف لا نحمد كذلك المسيو (ا . خضرى) والمسيو (موريك برن) على أن ترجما إلى الفرنسية لغة خلقت لتعبر قبل كل شىء عن العطر والشعر والسر ؟ »

وفاة مارمدوك بكتال

توفى المستر مارمدوك وليم بكتال القصصى المعروف بتضامه فى العلوم الاسلامية ، ولد فى ٧ ابريل سنة ١٨٧٥ فى شلورد بمقاطعة سفولك ، وكان أبوه قسيساً بها ؛ ثم تلقى دروسه فى هارو وفى أوربا ، ثم قضى ثلاث سنين فى الشرق الأدنى ، درس خلالها العربية ، وفقه العلوم الاسلامية ؛ وقضى وقتاً طويلا فى لبنان وفى مصر ، ثم دخل فى الاسلام وتسمى محمدا ، واتصل بسمو

(١) يريد بالدرامتين : تجدد الأمل ، وتبدد الوهم . والثانى هو موضوع شهرزاد

نظام حيدر أباد ، فتولى ادارة (كلية حيدر أباد) ورأس تحرير مجلة (الثقافة الاسلامية) التى تصدر هناك باللغة الانجليزية

وفى سنة ١٩٣٠ ترجم القرآن الكريم ترجمة توخى فيها الدقة وطبعها بمعونة الأمير بعد أن راجعها الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ، وجعل عنوانها (ترجمة معانى القرآن المجيد) . وقد أرسل نسخاً منها إلى مصر ، وكان الشيخ الظواهرى يومئذ شيخاً للأزهر ، فنبهه بعضهم إلى أن فى الترجمة خطأ ، فطلب من الداخلية أن تصادرها فصودرت . وله غير ذلك مؤلفات قصصية وغير قصصية ، منها (سعيد الصياد) و (عنيد) و (بيت الاسلام) و (حكايات عن الأرض المقدسة) و (أبناء النيل) و (وادى الملوك) و (النساء المحجبات) و (الترك فى الحرب) و (فرسان عرابى) وغير ذلك

كننهام جراهام

نعت الينا الأنباء الأخيرة الكاتب الانكليزى الكبير روبرت كننهام جراهام ؛ توفى فى مدينة بيونوس ايريس عاصمة الجمهورية الفضية (أمريكا الجنوبية) ، حيث كان يعيش منذ أعوام طويلة ؛ وهو اسكتلندى الأصل ، ولد سنة ١٨٥٢ ، وتخرج فى كلية هارو الشهيرة ؛ وكان منذ حداثته يشغف بالسياسة وغمارها ، ويجنح للمبادئ الاشتراكية ؛ وفى سنة ١٨٨٦ تحققت آماله السياسية الأولى بدخوله مجلس النواب نائباً عن لانكشير ؛ وظهر فى البرلمان بذلاقته وحملاته العنيفة ، واستمر نائباً حتى سنة ١٨٩٢ . وفى ذلك الحين كان جراهام قد خاض غمار الكتابة أيضاً ؛ وكان جوالة كثير الأسفار ، واستهوته اسبانيا وأمريكا الجنوبية فدرس شؤونهما ، واتصل بالبلاط الاسبانى وكتب كثيرا عن اسبانيا وتاريخها وعظمائها ، وأنعم عليه ملك أسبانيا برتبة فى النبل (جراندى) ؛ ومنذ سنة ١٨٩٨ يخرج لنا جراهام بالانكليزية كتباً عن الشؤون والصور الاسبانية وعن تاريخ أمريكا اللاتينيـة . ومن أشهر مؤلفاته Aurora la Cujini « ابنة عمى صبح » (سنة ١٨٩٨) و « المغرب الأقصى » (فى نفس العام) « إركاديا الذاهبة » A Vanished Arcabea (سنة ١٩٠١) « والنجاح » Success (سنة ١٩٠٢) و « ترجمة هرناندو دى سوتو » (سنة ١٩٠٣) و الصدقة Charity (سنة ١٩١٢) و « قرطاجنة وشواطئ سينو » Cartagena and Banks of Sinu (سنة ١٩٢٠) و « أعمال بطولة » Doughty Deeds (سنة ١٩٢٥) و « بيدرو دى فالديفيا فاتح شيلى » P. de Valdivia conquerer of Chili (سنة ١٩٢٩) وخوزى أنتونيو بيز Jose Antonio Piez (سنة ١٩٢٩) وغيرها ؛ ومعظمها عن أمريكا اللاتينية

وتجول جراهام كثيراً فى مدن أمريكا الجنوبية وثنورها ، ودرس كثيراً من شؤونها وأحوالها ، وأقام كثيراً فى بيونوس ايريس ؛ وكان أثناء الحرب العالمية يشتغل بتجارة الخيل وتوريدها لجيوش الحلفاء ؛ وهو يعتبر فى الواقع من كتاب أمريكا اللاتينية أكثر مما يعتبر من كتاب انكلترا ، وشأنه فى ذلك شأن المؤرخ الانكليزى جورج فنلى الذى خصص حياته لليونان وتاريخها وآدابها ؛ وتوفى جراهام فى نحو الثمانين من عمره

مباراة أدبية دولية

نشر مكتب الصحافة الدولية السويدية بيانا عن مباراة أدبية دولية رصدت لها بعض دور النشر السكندنافية جائزة حسنة ، ووضعت لها موضوعا وشروطا خلاصتها :

أما الموضوع فهو : « هل يمكن أن يوضع معيار أدبى موضوعى فى العصر الحاضر ؟ وإذا كان الجواب نعم ، فعلى أى أساس يمكن أن يقام ؟ »

ويجب ألا يزيد ما يكتب فى الموضوع على ست عشرة صفحة من القطع المتوسط ، ويجب أن يكتب بوضوح وترتيب ؛ وقد ألفت لفحص الرسائل لجنة مؤلفة من الدكتور لانكوست أستاذ الفلسفة السويدى (ممثلا للسويد) والدكتور ونسنس النرويجى (ممثلاً للنرويج) والدكتور رون أستاذ الفلسفة الفنلندى (ممثلا لفنلنده) ؛ وستقوم هذه اللجنة بمهمتها مستقلة ، وتقبل دور النشر المذكورة أحكامها دون مناقشة

وستخصص للفائزين ثلاث جوائز ، الأولى قيمتها (٢٠٠٠) كرون سويدى ، والثانية قيمتها (١٠٠٠) كرون ، والثالثة (٥٠٠) ؛ ويدفع للفائزين فوق ذلك نسبة من أرباح نشر رسالاتهم ؛ وإذا لم يوجد من بين الرسائل المقدمة رسالة تستحق المكافأة ، فانه لا تمنح جوائز ما ، ويحتفظ الناشرون أيضاً بحقهم فى نشر رسائل لم تنل شيئا من الجوائز

ويمكن كتابة الرسائل باللغات السويدية والدانماركية والانكليزية والألمانية ؛ ويجب أن تذيل بامضاء مستعار ، ومعها

غلاف به هذا الاسم المستعار مقرونا باسم صاحبه ؛ ويمكن الدخول فى المباراة حتى أول يناير سنة ١٩٣٧ ، وتنتهى لجنة التحكيم من أعمالها فى أول أبريل ، وتعلن النتيجة فى خريف سنة ١٩٣٧ ، وترسل الرسائل الى إحدى دور النشر المشتركة فى وضع المباراة ، وهى محلات :

Natur och Kulbur, Stockholm. Johan Graunt Tauun, Oslo Soderstron et—Co., Helsingfors

كتاب جديد عن مصر القديمة

ظهر أخيراً بالانكليزية كتاب عنوانه « بحث فى مصر الخفية » A Search in Secret Egypt بقلم المستر بول برنتون P. Brunton . واسم الكتاب يدل على موضوعه . بيد أن مؤلفه ينحو فى كتابته منحى غريباً لم يسبقه إليه أحد ، فهو لا يريد أن يتقيد فى بحثه بما كتبه علماء الآثار المصرية أو استنتجوه من قراءة النقوش القديمة ، بل يؤثر أن يعتمد على مباحثه الشخصية وعلى وحى نفسه فى فهم ما تدلى به الهياكل والرموز من المقاصد والمعانى . وقد زار المستر برنتون مصر فى العام الماضى وقضى بها بضعة أشهر يتجول بين آثارها وينقب ويبحث ويجمع لنفسه مواد كتابه ؛ وهو كاتب شاب واسع المعرفة متزن مستنير فى آرائه وشروحه

ويرى مستر برنتون أن الحضارة المصرية القديمة قد نشأت فى القارة المفقودة « الاتلانتس » ، ويستشهد على رأيه بحلم رآه فى ذلك ووحى نفذ الى نفسه ذات ليلة قضاها الى جانب أبى الهول ، وذات ليلة أخرى قضاها مع الأرواح بجانب الهرم الأكبر ، وثالثة قضاها فى معبد الكرنك ؛ ويحاول فوق ذلك أن يدعم رأيه بمشاهدات أثرية شاهدها فى أبيدوس ودندرة والأقصر

ويحمل مستر برنتون على مباحث علماء الآثار ، ويقول انهم لم يصلوا الى لباب الحقائق ؛ وأن الأرواح الشريرة والمضللة تنطلق كل مرة يجرى فيها الحفر فى مقبرة أو معبد ، وأنه خير أن يوضع حد لاطلاق هذه الأرواح الخطرة التى كثر عديدها

ويرى فيما يتعلق باللغة المصرية القديمة أن علماء الآثار لم يتوصلوا إلا الى معرفة المعانى التى كانت مستعملة على لسان الرجل العادى . أما المعانى والرموز الخفية التى كانت تجرى على ألسنة الكبراء والخاصة فما زالت سراً من الأسرار

ويسير الكاتب فى عرض آرائه عن شؤون مصر القديمة وأسرارها على هذا النحو الخيالى . بيد أنه مما لا ريب فيه أنه يذهب بعيداً فى تصوراته ، وأن كتابه لا يمكن أن يعتبر من النوع العلمى الذى يعتمد على شروحه ؛ أما إذا اعتبرناه قطعة من الخيال المجرد ، فانه يستحق القراءة على هذا الأساس ، ويغدو قطعة ممتعة من الأدب الروائى

ذكرى أمير عالم

احتفل أخيرا فى ڤينا بذكرى البرنس أوجين دى سافوى ، لمناسبة مرور مائتى عام على وفاته ، وقد كان هذا الأمير الشهير قائدا عظيما ، وكان فرنسى الأصل والمولد ، وكان مولده فى باريس سنة ١٦٦٣ ولكنه هجر فرنسا وطنه ، لأن لويس الرابع عشر أبى عليه تحقيق بعض أمانيه ، والتحق بخدمة امبراطور النمسا ليوبولد الأول . وغنم ضد الترك عدة مواقع رفعت اسمه ومنزلته ، وانتهى بسحق الترك فى المجر فى معركة زنتا الشهيرة ، وحارب أيضاً ضد لويس الرابع عشر وهزم جيوشه فى عدة مواقع ، وذاع اسمه فى أوربا ، واعتبر أعظم قائد فى عصره

بيد أن الذى يهم هنا هو أن هذا القائد الشهير كان فيلسوفا وكان عالماً ، وكان شغوفاً بالتفكير والآداب ؛ وله صلات أدبية وثيقة بأقطاب التفكير فى عصره مثل الفيلسوف الألمانى ليبنتز ، والفيلسوف الفرنسى ڤولتير ، وغيرهما من أقطاب الفلاسفة والمفكرين ، وكانت له مكتبة عظيمة تنص بآلاف الكتب النفيسة ؛ ومع أنه كان فى معظم أوقاته مشغولاً بأعمال الحرب والسياسة ، فانه لم يكن يترك فرصة للقراءة إلا انتهزها ؛ وكان واسع الاطلاع والمعرفة إلى حدود مدهشة ؛ وكان نصيراً للآداب والفنون يدعو أقطاب الكتابة والفن إلى البلاط النمسوى ويغدق عليهم عطفه ورعايته ؛ وما زالت مكتبته ومجموعاته الفنية تكون قسما عظيما من المكتبة النمسوية الوطنية ؛ وقد شمل الاحتفال بذكراه أخيرا فى ڤينا عدة مناظر عسكرية وفنيـة ، فنظم استعراض عسكرى فخم ، وأقيم احتفال تذكارى فى القصر الذى توفى فيه (سنة ١٧٣٦) فى شارع « همل بفورت » ، ويوجد فى قصر بلفيدير الشهير حيث كان يقيم هذا الأمير العالم أثناء حياته معرض دائم يضم كثيرا من التحف والصور والتماثيل التى استطاع أن يجمعها طوال حياته